روايات رومانسية عالمية

عبير



نيرينا هيليارد

خطوات نحو اللهب

مكتبة مدبولي

روايات رومانسية عالمية
عبير

خطوات نحو اللهب

المصادفة

تتدخل في حياتنا رغم ارادتنا.

اسمها ترينا مريتون والمصادفة تتدخل في حياتها مرتين : حين انتقلت مع جدها من انكلترا الى استراليا حيث اكملت دراستها وامتهنت الباليه، وتعرفت على دنيس الشاب الوسيم، الذي حاول زحزحتها عن خط حياتها ومبادئها فهربت منه علها تنساه. وهنا تدخل القدر مرة ثانية لتعمل مدرسة اطفال في منزل اندرو دلوين المليونير والوصي على الاطفال. اندرو ليس كبقية الرجال، انه انسان وحيد ومليء بالمرارة ، يعيش تعيساً نتيجة تشوه في وجهه. تركته خطيبته من اجل ذلك فلم يعد يثق بالمرأة والحب. لكن ترينا ايضاً ليست كبقية النساء. عفريتة صغيرة تقفز كالجنيات ورقيقة كالندى، جريئة وصريحة ولا تخافه ..ام ترى هل تخافه فتهرب منه؟

مكتبة زهران
جمهورية مصر العربية
١٥ شارع الشيخ محمد عبده - خلف الجامع الأزهر
ت : ٥١٤٢٩٥٥ - موبايل : ٠١٢٣٣٧٨٦٤١٨

رقم الإيداع: ٢٣٥٩٨/٢٠٠٦

العنوان الاصلي لهذه الرواية بالانكليزية
THE SCARS SHALL FADE

١ـ معلمة تشبه الجنية

وقفت ترينا مريتون لحظة وقد تدلّت جديلتاها السوداوان على طرفي وجهها العابث المرح كأنها هندية. وبسرعة فائقة ومهارة، عقدت الشرائط اللماعة في طرفي الجديلتين. كان عبوسها ينم عن ألم عميق.

ترينا خائفة من المقابلة المرتقبة من أجل عملها وتودّ لو تنتهي من هذه المهمة الصعبة التي لا يمكن تأجيلها، فهي ترغب في الحصول على تلك الوظيفة لأنها ستمكّنها من الابتعاد عن سيدني في الوقت الحاضر. وتريد الهروب من دنيس ومن الاحاسيس الخاطئة التي حركها في داخلها، أحاسيس خطرة هدامة زعزعت كلّ القيم التي تؤمن بها والتي عاشت وتربّت في كنفها. لقد اكتشفت ترينا منذ أسبوع ان دنيس رجل متزوج ولم تستطع ان تقرر ما اذا كانت تحبه حقاً ام لا. كان دنيس يفتنها مع انه مغرور وبدون أخلاق ولا نفع منه. هل تستطيع المرأة ان تحب رجلا حتى لو ضللها؟ لقد لاحقها منذ اول لقاء لهما مع انه كان يعرف انه رجل متزوج ولن يحصل على شيء من اذكاء جذوة الحب بينهما. ولكنه نجح في مهمته، ومع ذلك لا يعترف بأنه كان مخطئاً وهي واثقة بأن علاقتهما غير مشروعة.

ترينا ليست واثقة من قدرتها على مقاومة كلامه المعسول. لم تحاول ان تمنع نفسها من الوقوع في حبه قبل ان تعرف انه رجل متزوج. كانت تتمنى ان تختفي تصرفاته السيئة باعجوبة بعد الزواج. لقد فشلت المرأة منذ القدم في تغيير طباع الرجل الذي تحبه وقد عرفت ترينا الآن أنّ انانية دنيس لينارد المتأصلة قسم من طباعه التي لا تتغيّر. انه لا يحترم تردّدها وحيرتها بشأن علاقتهما، وعليها أن تجد وسيلة للهروب كي تتمكن من التحكم بزمام

عواطفها العاصفة.

مشت ماردا ببطء تبتعد عن المرآة وهي تهز رأسها بحنان وتمسك سترتها القرمزية.

«هل تشعرين بالعصبية والنرفزة؟».

هزّت ترينا رأسها موافقة وقالت:

«اني ازداد عصبية كل دقيقة».

نظرت ترينا الى صديقتها الشقراء وتمنت لعلاقتها الهدوء كعلاقة ماردا غرينون مع صديقها بيرس جاكسون. من ينظر الى صديقتها ماردا يعتقد انها ستقع عشرات المرات في الحب وتتعذب قبل ان تستقر. كانت ماردا شقراء الشعر وقد قصته قصة قصيرة تشبه القنفذ. تكثر الصباغ على وجهها وتحب استعمال مسكة طويلة للسيكارة. وكان بيرس طويل القامة وأسود الشعر يدمن ارتداء البنطلون المخملي المضلع والكنزات البراقة الالوان. أحبت ماردا صديق طفولتها بيرس وصممت على الزواج منه عندما يتمكنان من جمع المال الذي يكفي كدفعة أولى لشراء منزلهما الزوجي. كان حبهما هادئاً منذ كانت ماردا في الرابعة عشرة من عمرها وبيرس في السادسة عشرة من عمره. كلاهما يهوى الرسم ويتقن الرسم التقني. شكلهما بوهيمي متطرف في الكلام واللباس ومن الصعب ان يرى الانسان الطية الحقيقية الموجودة في داخلهما مما يؤكد ان الشكل الخارجي نادراً ما يعكس الجمال الباطني. من يلتقي ماردا لأول مرة وهي ترتدي بنطلونها الاسود المقلم وفوقه كنزة لماعة ويستمع الى تعليقاتها الغريبة والتي صيغت خصيصاً لتصدم سامعها، يتركها ويهز كتفيه استهجاناً. هؤلاء يخسرون عشرتها الطيبة ولا يعرفونها على حقيقتها. كانت ماردا تضحك من تعليقاتها اللاذعة التي لا تقصد من ورائها أي اذى، تبدو لا مبالية في عواطفها مع أنها حساسة جداً وعواطفها عميقة وأكيدة. وتحكم التصرّف بأعصابها ولا تخسر رباطة جأشها الاّ نادراً عكس صديقتها ترينا التي تتفجر عصبيتها لأتفه الاسباب.

عبست ماردا وهي ترفع حاجبيها الرفيعين اللذين خطهما قلم حواجب أسود اللون وقالت:

«شكلك يا عزيزتي يشبه احد العبيد الذين اطعموهم للأسود».

صمتت قليلاً ثم اكملت «لقد ولى زمن تشغيل العبيد الى غير رجعة».

ابتسمت ترينا واجابتها:

«هل ابدو هكذا؟ كنت أريد ان ابدو هادئة ومتمكنة من نفسي».

«هناك بعض الأمل». قالت ماردا وهي تذهب الى المطبخ الصغير. «تناولي هذه الحبة المهدئة وهي تتولى تهدئة اعصابك. لا تدعي آل دلوين يخدعونك».

«انني ضعيفة عندما أريد الحصول على شيء ما... ثم أنا لا أحمل مؤهلات تلك الوظيفة... عليّ ان اغادر سيدني».

قالت جملتها الاخيرة بصوت منخفض جداً ولكن ماردا فهمت كلامها والاسباب الموجبة له:

«دنيس. ما يزال يزعجك؟».

هزّت ترينا رأسها موافقة ولم تتكلم.

قالت ماردا بهدوء:

«انك تعرفين انه رجل سيء؟».

ماردا لا تحب دنيس ابداً. لو كان الموضوع لا يتناوله لكانت علّقت بكلمات ساخرة. ولكن الامر يتعلق بصديقتها ترينا وعليها ان تكون جدية في امور مهمة كهذه.

«اعتقد انني اعرف هذه الحقيقة، ولكنني لا استطيع ان ابعد تفكيري عنه. عليّ ان اغادر سيدني حتى اتمكّن من وضع الأمور في نصابها».

كان دنيس فناناً وقد قابلته ترينا في حفلة صغيرة اقامها احد اصدقاء ماردا في الاستديو. وقد لامت ماردا نفسها لانها السبب في لقائهما. وكانت ترينا تشعر بالوحدة والكآبة بعد وفاة جدها وقد اقنعتها ماردا بحضور تلك الحفلة كي تخرجها من حزنها ووحدتها. وهناك التقت دنيس ليناراد البالغ الوسامة. فقد كان جذاباً بقدر ما هو قليل الاخلاق.

ساعدت ترينا ماردا في تحضير الفطور. كانت ترينا تفكر بتربيتها وافترضت انها السبب في جعلها سريعة العطب وسهلة الوقوع في شرك اشخاص مثل دنيس. فهي لم تعتد مقابلة اشخاص مثله.

ولدت ترينا في ضاحية هادئة من لندن وأمضت سبع سنوات هناك. وبعد وفاة والديها ذهبت لتعيش مع أهل والدها في دورمنستر وهي مدينة

صغيرة في باكنفهامشاير وفيها كلية ذات مستوى علمي رفيع. جدّاها يحملان درجات علمية ويعملان كمحاضرين في الكلية. هناك امضت ترينا حياتها في هذا الجو المفعم بالتربية والتعليم والمبادىء والقيم. جداها تركا لها حرية اختيار تخصصها كي تصبح راقصة باليه ولكنهما أصرّا على اكمالها العلوم الجامعية أولاً. ولولا اصالة روحها المرحة ونزعتها الى العصبية لدخلت في سلك التربية والتعليم وامتهنت التدريس. من يراها يشك في التعليم العالي الذي نالته. فهي نحيلة صغيرة الحجم وتشبه الجنية الصغيرة. أنفها مروس وعيناها زرقاوان عابثتان. جديلتاها المعقوصتان بترتيب فوق رأسها تعكسان شخصيتها بعض الشيء وتخففان من كبريائها وتجعلها اقرب الى الجنية المزعجة.

لم تلتق ترينا دنيس الاّ في استراليا. ووفاة جدتها المفاجئة جعلت جدها يهمل صحته، اما برد انكلترا القارس فقد سبب له مرض ذات الرئة ونصحه الاطباء بمغادرة انكلترا الى مكان اكثر دفئاً.

لم تكن ترينا ترغب في مغادرة انكلترا ولكنها مضطرة الى اقناع جدها بالانتقال الى مكان اكثر دفئاً من أجل صحته. كان هذا اقل ما يمكنها فعله من اجله بعد ان قدم لها كل شيء. انها تحب جدها كثيراً ولقد انذره الطبيب انه لن يعيش في انكلترا اكثر من ثلاثة الى ستة اشهر. ولقد امضى في استراليا حوالى الاربع سنوات مستمتعاً بدفء الشمس سعيداً يعيش على راتب التقاعد الذي كانت الكلية تصرفه له شهرياً. كانت ترينا تعمل في فرقة الباليه لمدينة سيدني. وفرصة العمل في هذا الحقل جيدة في انكلترا ولهذا السبب كانت لا ترغب في مغادرة انكلترا ولكنها حين قدمت استراليا مع جدها لم تندم ابداً لأنها وجدت ان باستطاعتها ان تتابع مهنتها هنا.

اربع سنوات أمضتها في سيدني جعلتها تشعر انها تنتمي فعلاً الى هذه المدينة. وبعد وفاة جدها البروفسور مريتون كان عليها اذاً تتخلى عن الشقة الكبيرة المستأجرة لأن معاش التقاعد قد مات بموته. لبث ترينا اعلاناً في الجريدة لمشاركة شقة صغيرة مع فتاة اخرى. فالتقت ماردا. ولكنها ترددت في البداية بمشاركة فتاة بوهيمية مثلها الاّ ان غريزتها جعلتها لا تتخلى عن تلك الفرصة. تقع الشقة الصغيرة في شارع بوندي وتبعد مسافة صغيرة عن الشاطىء الشهير في سيدني. شارع نظيف وهادىء. تحتوي الشقة على

غرفة نوم كبيرة ومطبخ صغير وغرفة للجلوس وحمام. ما يزعجها هو انها ستقاسم فتاة غريبة غرفة نومها. كانت ترينا معتادة على غرفة نوم خاصة بها ولكن ليس باليد حيلة وتكاليف المعيشة غالية بالنسبة الى فتاة مثلها تعمل لتعيل نفسها. كان باستطاعتها ان تستأجر غرفة صغيرة وحدها حيث تستعمل زاوية منها للطبخ ولكنها احست انها تستطيع ان تعيش بسلام مع ماردا بالرغم من مظهرها الخارجي. الفتاة التي كانت تشارك ماردا قبلها تركت لتتزوج وليس لعدم التوافق بينها او الشجار. كانت الاريكة قرب النافذة من نصيب ترينا. بعد ساعات قليلة من الحديث مع ماردا احست ترينا انها مرتاحة جداً في بيتها الجديد.

كانت ماردا تدخن سيكارتها وهي تمسكها بمسكة من الجاد وتتناول المالك بتعليقاتها اللاذعة الخفيفة. وتشير الى الالوان والاثاث في الشقة وتؤكد بأنها تستطيع ان تزين الشقة افضل لو كان لها الخيار في ذلك. الشقة مؤجرة مفروشة ولا مجال لأي تبديل او تغيير.

كانت حفلات ماردا التي تضم الفنانين مسلية. التقت ترينا دنيس في احدى هذه الحفلات، وظل يلاحقها بلا هوادة وقد ازعجها لأنه هزّ لها كل معتقداتها والقيم التي عاشت تؤمن بها. لقد تركت نفسها تحبه مع ان غريزتها انذرتها بأنها لن تجد سعادتها مع رجل على شاكلته. لو عرفت منذ البداية انه متزوج لابتعدت عنه. عليها ان تبتعد عن طريقه وتختفي من حياته حتى لا يجدها... وحتى تستفيق لنفسها ويعود عقلها اليها. انها مفتونة به... ستنساه حتماً. عليها ان تكبح جماح نفسها ولا تستسلم لحبه حتى لا تقتل كل القيم التي تؤمن بها. فهي تؤمن ان الحب لا يرتكز على الخطأ وعدم احترام النفس. دنيس رجل متزوج ومهما كانت علاقته بزوجته ليندا نافرة فهذا لا يغيّر من حقيقة زواجها. ربما تكون ليندا قاسية وخبيثة لأنها ترفض اعطاءه الطلاق ولكن ذلك لا يغير الوضع ابداً.

قالت ماردا وهي تنظر الى الشاي الذي كانت تصبه لنفسها:

«ربما تخسرين مهنتك بذهابك؟».

«الم أقل لك... انني سأذهب لشهر واحد، لم تسمعي بقية اخباري. هناك فرقة للباليه جديدة. انها فرقة الباليه الدولية. لقد قالوا لي انني استطيع الانضمام اليهم بعد شهر. وهذا يناسبني».

«هذه اخبار جديدة وجيدة، هل هذه الفرقة افضل من السابقة؟».

هزت ترينا رأسها موافقة وقالت:

«اعتقد ذلك. فرصة اكبر لي. ربما استطيع ان اقوم بدور منفرد هنا».

«لقد حان الوقت، يظهر ان الامور بدأت تسير وفق رغباتك وظيفة جديدة... مدخول جيد... أمل جديد، وفي خلال شهر واحد عليك ان تنسي دنيس وتخرجيه من كيانك كلياً».

«لو أفوز بهذه الوظيفة!».

اكملتا شرب الشاي. غسلتا الصحون سوية. اكملت ترينا ترتيب نفسها وعقدت اصبعيها تتمنى لنفسها التوفيق في هذه المقابلة.

تمنت لها ماردا كل توفيق. غادرت ترينا الشقة باتجاه القطار الذي سيقلها الى وسط المدينة. تحتاج لبضع دقائق من المشي بعد ان تصل الى موقف القطار في المدينة لتصل الى الفندق الفخم المذكور في الاعلان.

شغلت ترينا نفسها بالوظيفة الجديدة وهي تجلس في القطار لتبعد دنيس عن افكارها. انها لا تحمل مؤهلات الوظيفة المطلوبة. هي ليست معلمة مدرسة ولا تعطي دروساً خاصة. كانت ترجو ان تمكنها دراستها الجامعية من الفوز بهذه الوظيفة. المطلوب منها ان تعطي دروساً خاصة لأربعة اطفال. زوجان من التوائم. لن يكون العمل شاقاً. لن يحتاجوا لدراسة متقدمة. توأم في السابعة من عمرهما وهما بنتان. وتوأم في الحادية عشرة وهما صبي وبنت.

وصلت ترينا الى الفندق الفخم وذهلت من الرفاهية المتناهية والعظمة. ان جيرالدين دلوين غنية جداً وتملك مدخولاً سخياً كي تنزل في فندق بهذه الفخامة. ذهبت ترينا الى مكتب الاستقبال. طلبت مقابلة السيدة دلوين. استعملت المصعد ومشت على ممر مفروش بسجاد رمادي اللون. أوصلها خادم في زي بني الى جناح السيدة دلوين وانحنى مودعاً. فتحت لها خادمة شابة ترتدي ثوباً أسود وتحاول ان تبدو محترمة قدر الامكان. منظر الخادمة يشبه منظر جدتها البروفسورة وهي تلقي محاضرة من فوق منصة الكلية في قاعة المحاضرات. شرحت لها ترينا سبب حضورها. قادتها الخادمة الى غرفة الانتظار. فوجدت نفسها مع ثلاث نساء غيرها.

تفحصتها عيون النسوة باهتمام وهي تفحصت بدورها منافساتها، كل

منهن تحاول ان تعرف فرصتها وترغب ان تفوز بالوظيفة لأسباب مختلفة.

كانت احداهن كبيرة السن شاحبة الوجه. تبتسم ابتسامة رقيقة. اما الثانية فكانت طويلة وممتلئة وشكلها غير جميل وشفتاها رقيقتين. وأما الثالثة فكانت شابة جذابة في الثانية والعشرين من عمرها تقريباً. بقيت ترينا تنتظر دورها للمثول بين يدي السيدة دلوين بفارغ الصبر. واخيراً حضرت الخادمة وقالت:

«ستراك السيدة دلوين الآن. تفضلي يا آنسة مريتون».

نهضت ترينا وتبعت الخادمة الى القاعة ثم الى غرفة جانبية. أغلقت الخادمة الباب خلفها وخرجت. نهضت السيدة جيرالدين دلوين ورحبت بها وأشارت اليها ان تجلس على الكرسي أمام الطاولة.

«اجلسي ارجوك يا آنسة مريتون».

وانتظرت السيدة جيرالدين ترينا حتى جلست اولاً ثم جلست هي بعد ذلك. كانت جيرالدين امرأة متوسطة العمر ترتدي ثياباً أنيقة، حسنة المظهر وجميلة. عيناها السوداوان فيهما بريق محبب.

«عليّ ان آخذ اسمك وعمرك وعنوانك اولاً ثم نسجل مؤهلاتك».

اعطت ترينا اسمها وعمرها وعنوانها وجميع التفاصيل عن حياتها التي رغبت جيرالدين ان تعرفها. جلست جيرالدين في مقعدها تتأملها وقالت:

«انت اصغر مما احتاج... ولكنني حتماً لا اريد سيدة في عمري».

فهمت ترينا من قولها ان السيدتين السابقتين لا أمل لهما بالوظيفة. هزّت جيرالدين رأسها ثم اكملت حديثها:

«السيدتان السابقتان لا احتاجهما: الاولى تشبه الضابط الصارم. الاولاد سيعصون اوامرها ويرفضونها. والثانية لن تستطيع ان تضبطهم أو تديرهم. عليّ ان اعترف ان الاولاد بدون انضباط تقريباً».

لم تزد ترينا اي شيء على قولها. كانت تتعجب من قولها. يبدو انهم خطيرون.

«لا تهتمي لهذا الأمر». قالت جيرالدين «انهم يحسنون التعامل مع من يحبون. يعيشون على هواهم ولكنهم ليسوا مفسودين. دراستهم أدنى مستوى من عمرهم ومع قليل من التدريس واستعمال الحيلة يصلون الى المستوى المطلوب».

سألتها ترينا:
«هل تأخروا عن الدراسة بسبب المرض؟».
قالت جيرالدين عابسة:
«لا. لكنهم كانوا خارج المدرسة كلياً. كان يسمح لهم بالتهرب منها ما ارادوا وهم الآن تحت اشراف ابن اخي، ويرغب في ايصالهم الى مستوى اعمارهم العلمي وبذلك يستطيع ان يدخلهم مدرسة جيدة».
«انك تريدين معرفة مؤهلاتي لهذا العمل».
«بالطبع. في أي مدرسة عملت؟ ام هل كنت تعطين دروساً خاصة».
«انا لست معلمة ولم اعط دروساً خاصة». ترددت ترينا قليلا ثم قالت: «انا راقصة باليه».
تعجبت جيرالدين:
«راقصة باليه!».
أحست ترينا انها ازعجت جيرالدين بقولها... واقتنعت بأن الحق معها.
«انت راقصة باليه» كررت جيرالدين «ولكنني لا ارى كيف يمكنك ان...».
«دعيني اشرح لك». قالت ترينا بيأس وهي تقطع حديث جيرالدين. «عندما تخرجت من الجامعة قيل لي ان بامكاني ان اصبح معلمة مدرسة ولكنني رغبت في الباليه. أنا واثقة بأنني استطيع ان اعلم الاولاد اذا اعطيت لي هذه الفرصة».
هزّت جيرالدين رأسها غير موافقة وقالت:
«أعتقد انني اريد شخصاً لديه خبرة في التعليم وفي معاملة الاطفال. اخبرتك انهم غير نظاميين». ابتسمت بلطف ولكن وجهها كان صارماً وهي تقول: «آسفة يا عزيزتي. لا اعتقد انك مناسبة للوظيفة».
لقد انتهى أملها. عليها ان تبتعد عن دنيس بارادتها القوية. تستطيع ان ترحل عن سيدني في اجازة قبل ان تبدأ عملها الجديد مع الفرقة الدولية للباليه. كانت ترينا تشك ان باستطاعتها ابعاد دنيس عن تفكيرها وهي بدون عمل. ستدخل من جديد في تجربة العودة اليه واذا عادت اليه ستكون قد قضت نهائياً على كل القيم التي تؤمن بها. لا بد لها من ايجاد

وظيفة اخرى لتشغل تفكيرها بها أو لتبعدها عن سيدني ولو مؤقتاً. اما اذا بقيت في الشقة مع ماردا فسوف يزورها دنيس رغماً عنها.
شعرت ترينا بانهزامها المؤقت. نهضت واقفة واعتذرت لجيرالدين عن ازعاجها وغادرت الفندق بهدوء.
حين عادت ترينا الى الشقة كانت تعابير وجهها تخبر عن قصتها وخيبة أملها. نظرت اليها ماردا من مجلسها تحت النافذة حيث كانت ترسم سألتها:
«الم توفقي؟».
«ليس هناك أي أمل. ذهبت بعد ذلك في جولة على مكاتب التوظيف. مطلوب فتاة كورس لتعمل في عرض متنقل. ذهبت لمقابلة المسؤول...».
اكملت ماردا جملة ترينا:
«لم يكن العمل جيداً ايضاً».
«ربما كنت سأقبل لو...».
كانت تعابير وجه ترينا تقول ان هناك بعض الامور التي لا تحتملها. ارتفع حاجبا ماردا بطريقة خبيثة وغمزت عيناها بمرح عابث وهي تقول:
«ان فتاة الكورس تلبس أقل ما يمكن من الثياب ويلاحقها المدير؟».
«ماردا!» ضحكت ترينا رغماً عنها وقالت: «شيء من هذا القبيل، شكل المدير خبيث وسيء ومستوى العرض فئة خامسة».
«لا تهتمي يا عزيزتي». اكدت ماردا ببساطة «سيحصل شيء ما... ربما نذهب سوية في عطلة... واذا حاولت ان تعودي لدنيس أربطك بالحبال واشدك الى عامود السرير».
ضحكت ترينا لمزاح ماردا ثم قالت بجدية:
«لا تستطيعين القيام بأية رحلة الآن». كانت ترينا تعرف أن ماردا تعمل حالياً في مشروع هام «وفقط من أجل رعايتي والاهتمام بمشكلتي».
وافقتها ماردا بعفوية:
«أعتقد انك على حق. اذا لم تحصلي على عمل بعيداً عن سيدني عليك ان تأخذي عطلتك فوراً. عديني بذلك. يجب ان تختفي من وجه دنيس... وايضاً عن كل محيطك هنا، كي تفكري بمشكلتك بهدوء. اذا

بقيت هنا سيزعجك دنيس».

«انت لا تحبينه؟».

«انا أبغضه وأكرهه». قالت ماردا بصراحة وجدية». هذا رأيي يا عزيزتي وانت ستستفيقين يوماً وستدهشين. ماذا اعجبك فيه؟».

«هذا ما افكر فيه دوماً». وافقتها ترينا وقد بدا التعب على محياها «لا ينفع هذا الحديث الآن. انني واثقة بأنه سيء الاخلاق لانه جعلني اقع في حبه مع انه رجل متزوج ولا أمل لهذه العلاقة بيننا في نهاية سعيدة...

توقفت ترينا عن الكلام وعضت على شفتها بقوة وهزت رأسها في محاولة لحبس دموعها من الانسياب من مآقيها.

«أشعر أحياناً انه لا يحترمني... والاّ لماذا سألني ان اهرب معه... انّ الالم يحصرني».

«كم هو أناني انت تعرفين مثلي ان الشخص الوحيد الذي يهمه هو دنيس لينارد... انه لا يحبك. ستكتشفين هذه الحقيقة بنفسك يوماً ما... اذا هربت معه سيتركك بعد ان ينال مأربه منك او يملّك».

قالت ترينا:

«لا!».

بقيت ترينا صامتة لفترة. اعتقدت ماردا أنها سرحت بافكارها بعيداً. نظرت ترينا اليها بعينيها الزرقاوين المليئتين بالدموع.

«في الظلام... امضي الليل بطوله صاحية افكر في هذه الامور وأحاول ان لا اصدق... وعندما أراه مرة ثانية أنسى نفسي وأعود اليه كان شيئاً لا يهمنا غير أننا نحب بعضنا... عليّ ان ارحل مهما حصل. عليّ ان اختفي من حياته لفترة من الزمن هذه هي الطريقة الوحيدة كي انساه».

ربما ستخدع ترينا نفسها وتقول انها شفيت من حبه. وحين تراه بعد ذلك مرة ثانية تعود لسابق عهدها ويخفق قلبها بحبه من جديد اقوى مما كان عليه. قالت ماردا:

«دعينا نتغدى الآن وبعد ذلك نذهب لمشاهدة فيلم سينمائي. سنبعد هذه المشكلة عن تفكيرنا اليوم. وربما غداً صباحاً يحدث شيء جديد...».

كان الفيلم يدور بحوادثه عن روما القديمة. هذه الفترة التاريخية تعجب

ترينا ويلذ لها مشاهدتها. حقق الفيلم نجاحاً كبيراً في ابعاد دنيس عن تفكيرها لفترة زمنية وفي الصباح حصل شيء جديد بالفعل.

كانتا ترينا وماردا في ثياب البيت عندما رن جرس الهاتف. تكلمت ماردا اولاً ثم طلبت من ترينا ان تتناول السماعة.

«المكالمة لك... انها السيدة جيرالدين دلوين».

«السيدة دلوين!» قالت ترينا وهي تخطف منها السماعة وقد بان أمل جديد في عينيها الزرقاوين. «اهلاً. انا ترينا أتكلم». قالت وهي تحاول ان تخفي حماسها قدر الامكان. كانت ترينا تستمع اليها وهي ترد عليها بكلمات متقطعة ثم اقفلت الخط «تطلب مني ان أقبل الوظيفة».

«جيد. هذا غير منتظر. الافضل لك ان تعيدي النظر بتمعن قبل ان تقبلي العمل».

قالت ترينا:

«لقد قبلت وانتهى الامر».

«لا بأس. حاولي ان تعرفي لماذا رفضت الاخريات الوظيفة».

«كنا اربع نساء. اثنتان رفضتهما السيدة جيرالدين اصلاً. والثالثة وهي في مثل عمري تقريباً وقع حادث مؤسف لها وكسرت رجلها».

«بدأت افهم الوضع».

قالت ماردا ولم يخف عليها ان التي كسرت رجلها هي المنافسة التي فازت بالوظيفة وليست السيدة دلوين. بدأت ماردا تضحك بعبث من جديد وهي تذكرها:

«ألم اقل لك؟ لقد حصل شيء كما توقعت».

قالت ترينا مهمومة:

«كنت اتمنى لو لم تكسر هذه الفتاة رجلها».

«انها ليست غلطتك. ربما كانت ستكسر رجلها لو قدمت طلباً لوظيفة اخرى ايضاً». قالت ماردا وهي تفكر بطريقة عملية:

«المهم ان تسرعي لمقابلتها فوراً قبل ان تغيّر رأيها وتعيد النظر وتفتش عن معلمة من جديد».

نزلتا من المنزل. افترقتا كل منهما في طريقها. وصلت ترينا في الموعد المحدد، قبل العاشرة بقليل. كانت الخادمة الشابة في استقبالها فقادتها الى

الغرفة الداخلية حيث اجتمعت مع جيرالدين في اليوم السابق. كانت المرأة المتوسطة العمر تتدثر بمعطف طويل من المخمل لا يلبس الآ في البيت وتنظر من النافذة. التفتت حين دخلت ترينا الغرفة وأشارت اليها كي تجلس على كرسي قبالتها.

«كم انا مسرورة لأنني وجدتك مستعدة لقبول الوظيفة يا آنسة مريتون».

«وانا ممنونة لأنك قررت ان تمنحيني هذه الفرصة».

«سأكون صريحة معك. لم أكن لافعل ذلك لو كان لدي فتاة غيرك لهذه الوظيفة. عليّ ان اترك المدينة اليوم وبالتالي انتهي من هذه المهمة. سأوجز لك قدر الامكان وضع العمل. هناك أربعة اولاد لتدريسهم. هم زوجان من التوائم. ان ذلك نادر جداً. توأم من البنات في السابعة من عمرهما وتوأم صبي وبنت في الحادية عشر من عمرهما. هم ايتام. التوأم الصغيران لا يعرفان والدتهما لانها توفيت ساعة الوضع».

قالت ترينا تعلق على كلام جيرالدين:

«انه شيء محزن!».

«لا ترثي لحالهم يا عزيزتي. أنا واثقة انها كانت سعيدة لرحيلها. كان زوجها مدمن شراب ولا شفاء من مرضه، ويعاملها اسوأ معاملة». هزت جيرالدين كتفها دون اكتراث ثم اكملت: «انا لا أتردد في اخبارك ذلك... عليك ان تعرفي ماذا ينتظرك. الاولاد يتحدثون بحرية عن والدهم. لقد توفي منذ فترة وجيزة. ابن اخي يتولى رعايتهم ومسؤوليتهم فوالدتهم تمت بصلة قرابة بعيدة لعائلتنا ومع ذلك فوجئنا بالحقيقة حين ترك والدهم وصية يعين فيها اندرو وصياً على الاولاد».

سألتها ترينا:

«ابن اخيك غير متزوج؟».

«لا». عبست جيرالدين من سؤالها ثم اكملت: «لن اخفي عليك صعوبة عملك. اندرو لا يحب الاولاد ولا يعاملهم معاملة جيدة. عليك ابعادهم عن طريقه».

عرفت ترينا واقع الحال ولم يعجبها الوضع. ستكون مسؤولة عن أربعة اولاد شياطين ويحتاجون لتربية ولتعليم، خسروا والديهم وارتبطوا في هذا

المحيط الجديد وشعروا بأن وجودهم غير مرغوب فيه.

«ولماذا يحتاجون لمعلمة خصوصية؟ ألا يمكنهم متابعة دراستهم واللحاق بالبرنامج بعد دخولهم المدرسة؟».

«ربما. ولكنني اعتقد انهم يستفيدون اكثر من هذه الدروس قبل بدء المدرسة، لقد قررنا ادخالهم القسم الداخلي في مدرسة جيدة المستوى، مع اولاد من عمرهم ومستواهم الاجتماعي».

على الاولاد ان يشكروا جيرالدين لاهتمامها بهم وبمستقبلهم. من الواضح ان ابن اخيها اندرو كان سيرميهم في المدرسة بدون اي تحضيرولو انتهى بهم الامر ليصبحوا اغبياء الصف واغبياء القسم الداخلي. حتماً لا يريد ارهاق موظفي منزله بأمرهم لفترة طويلة. وجدت ترينا نفسها تميل لكره اندرو بشدة مسبقاً.

اكملت جيرالدين حديثها بصوت رقيق ومتزن وهي تصف المنزل الذي ستعيش فيه ترينا. يقع المنزل في الريف ويبعد قليلاً عن سيدني. اخبرتها ان اندرو يسكن في شقة في سيدني حيث مركز عمله ويذهب الى منزله، براكيه في عطلة نهاية الاسبوع، وبراكيه منزل يملكه آل دلوين منذ مئة وخمسين سنة. اخبرتها ايضاً انها تستطيع ان تفعل ما تشاء في براكيه خلال ايام الاسبوع اما في نهاية الاسبوع فيتوجب عليها ان تبقى هي والاولاد بعيدين عن رؤية وسمع اندرو.

كأن ترينا تريد ان تقترب من الرجل... يبدو انه كريه وبغيض.

كان اندرو شاباً في الثلاثينات... أراؤه خاصة به ولا يهتم ابداً لمباهج الحياة. وبينما جيرالدين تكمل حديثها في وصفه. فهمت ترينا بطريقة مواربة أنها تحذرها بالابتعاد عن طريقه وان لا تدخل في رأسها اي افكار رومانسية عنه. انه لا يهتم بالنساء... لم تكره ترينا جيرالدين لهذا الانذار الذي زادها كراهية للرجل الذي لم تلتقه بعد والذي ستعمل عنده. لقد اصبحت فكرتها حول الاستاذ اندرو قاسية ومريرة.

قالت بهدوء مع انها كانت تغلي من الغضب في داخلها:

«اؤكد لك يا سيدة جيرالدين أنني لن اسبب لابن اخيك اي ازعاج او اهتمام».

فكرت في نفسها: يا الهي! وهل يعتقد الرجل انه ادونيس كي تقع في

حبه كل فتاة تلتقيه؟

اكملت حديثها:

«ثم انا مغرمة بشخص آخر. . .».

ابتسمت جيرالدين مستنكرة تصريحها الاخير وقالت:

«انا مسرورة لانك تفهّمت الوضع. لم اقصد اهانتك. أنا فقط انذرك لمصلحتك. يعتقد أندرو، للأسف الشديد، ان اية امرأة تهتم به يكون اهتمامها بالدرجة الاولى مركزاً على أمواله وهذا ما يجعله قاسياً ومريراً في تعامله مع المرأة».

هذا يضيف بعداً جديداً للموضوع، يختلف كثيراً. . . ومع ذلك شعورها بكرهه لا يزال على حاله. انها غلطته ولا شك في أن أمواله هي التي تجذب الناس للتعرف اليه. . . ومن الغريب ايضاً ان تكون جيرالدين الرقيقة اللطيفة عمته.

سافرت ترينا بعد ثلاثة أيام الى براكيه. منزل حجري قديم يملكه رجل ذو قلب حجري. ولكنه لن يحضر الى براكيه الا في نهاية الاسبوع. وهي لن تبقى هنا سوى أربعة أسابيع. ستتحمل ازعاجه مهما كان الأمر.

نزلت ترينا من القطار السريع في مدينة ميونا التي اخذت اسمها من البحيرة ذات الماء الصافي التي تقع المدينة على ضفافها. تبعد المدينة حوالى سبعين ميلاً الى جنوبي غربي العاصمة سيدني. انها مدينة ريفية خلابة تحيط بها المصانع الحديثة ذات الحدائق المسورة الخضراء.

كان اول ما لفت نظرها في المحطة مجموعات ملونة من الزهور في احواض كبيرة فوق رصيف المحطة. هناك ثلاث شجرات طويلة تكسوها الازهار الحمراء المتوهجة خارج المحطة. سألها رجل بعد ان قدمت تذكرتها وخرجت من المحطة:

«آنسة مريتون؟».

التفتت بسرعة. كان الرجل يرتدي ثياب سائق. وهو في متوسط عمره:

«نعم أنا ترينا مريتون».

رحّب السائق بها وهز رأسه ناحية السيارة وهو يقول:

«ارسلتني السيدة جيرالدين لاستقبالك في المحطة. هي بانتظارك في براكيه».

انتقلت حقائبها بمهارة الى السيارة الفخمة. وبعد أن جلست ترينا داخلها تحركت في طريق جيدة ولكنها ضيقة وسط سهل منبسط. كانت اشجار الصمغ الطويلة ذات الجذوع الرفيعة تحيط بها مرت السيارة بعد نصف ساعة بمستوطنة. هذه القرية الكبيرة هي أقرب مكان حضاري لبراكيه. أخبرها السائق ساندرز تلك المعلومات بجفاف. وبعد قليل تخلى السائق عن الرسميات وبدأ يثرثر معها عن الحوار. قال ساندرز:

«ان آل دلوين يملكون معظم الاراضي هنا».

انعطفت السيارة بعد خمس دقائق ودخلت سهلاً منبسطاً سيّج بالاعمدة الخشبية حول منحدراته الا من الناحية التي دخلتها السيارة. شكل المكان يشبه الهلال ويقع المنزل في الوسط. المنزل حجري قاس، ونوافذه العديدة تضحك وهي تعكس اشعة الشمس كأنها ترحب بقدمها.

وسألته:

«هذا منزل براكيه؟».

«نعم يا آنسة. انه ملك آل دلوين منذ مئة وخمسين سنة تقريباً».

نزلا ممراً ضيقاً تصطف على جانبيه أشجار الصمغ الطويلة. المنزل مربع ومتين مبني على طريقة ابنية المستعمرات القديمة. فيه قناطر متعددة تضفي الظلال على الشرفات في الطابق الارضي والعلوي. بعد ان توقفت السيارة نزلت ترينا ودخلت الى قاعة كبيرة باردة. وبعد لحظة حضرت جيرالدين لاستقبالها والترحيب بها.

«تعالي أعرفك على الاولاد مسؤوليتك التعليمية».

مشت جيرالدين وتبعتها ترينا الى غرفة واسعة بها نوافذ على الطريقة الفرنسية تطل على الحديقة. كان الاولاد مصطفين للتعرف عليها. فتاتان صغيرتان كالملاكين. شعرهما اصفر ذهبي وتبدوان أصغر حجماً من عمرهما. صبي وبنت يميلان للعبث والازعاج. شعرهما احمر كاللهب والنمش يكسو وجهيهما وقد بدا الارتباك عليهما.

تمّ التعارف كما يجب باحتفال مهيب. ضحكت الفتاة الكبيرة جولي ضحكة استهزاء، وعيناها تغمزان بعبث.

«الحمدلله. انك شابة صغيرة. كنت أخاف أن تكوني عجوزاً شمطاء».

قالت ترينا:
«انا اغضب قليلاً وأثور احياناً».
كانت تذكرها بمكر أنها صارمة وقت اللزوم ولن تكون متساهلة معهم.
فتح رود شقيقها التوأم عينيه:
«يظهر أنك لست معلمة مدرسة».
«هي ليست معلمة مدرسة».
قالت جيرالدين بجفاء. كانت تجيل نظرها بين الاولاد الاربعة الصغار الذين يتمتعون بصحة وعافية واضحة. انها راضية عن تعليقاتهم مع انها تحاول ان تبدو شديدة صارمة معهم في بعض المناسبات.
«هي راقصة باليه».
«هي ماذا؟» تعجبت جولي وصرخت مسرورة من الفرح لهذه المفاجأة.
«اذن لن ندرس دروسنا».
«انت مخطئة». قالت جيرالدين عابسة «هي راقصة باليه ولكنها تحمل شهادة جامعية تؤهلها لتدريسكم».
كان الاولاد يراقبون ترينا بعيون صادقة. وجيرالدين مسرورة من وجود ترينا للقيام بهذا العمل. سيسر الاولاد بهذه الاستاذة وسيطيعونها بسهولة. ان الحظ قد لعب دوراً كبيراً في وجودها والفتاة تستطيع ان تقوم بالمهمة الموكولة اليها خير قيام، ستبقى هي والاولاد بعيدة عن طريق اندرو.
صرفت جيرالدين الاولاد ليلعبوا في الحديقة ثم مشت مع ترينا لتريها المنزل وتشرح لها ما يلزم قبل ان تعود لمنزلها الذي يبعد حوالى عشرين ميلاً عن براكيه.
المنزل كبير ولكنه جيد الصيانة ومفروش بأفخر الاثاث واثمنه. دلائل الثراء في كل مكان بالمنزل ولكن المعروضات متناسقة تنم عن ذوق ولا تثير الاعصاب في تفاخر.
قادت جيرالدين ترينا الى القسم الخلفي من المنزل لتعرّفها على مدبرة شؤون المنزل السيدة جاميسون وهي سيدة اسكتلندية عجوز ولا تزال تحتفظ بلكنتها الاصلية مع انها هنا منذ ثلاثين سنة. تساعد السيدة جاميسون فتاتان شابتان من المزارع المجاورة في تلك المنطقة. ثم هناك الطاهية السيدة بيري نحيلة صغيرة الحجم على عكس أغلب الطهاة

الضخام. تشبه السيدة بيري في تنقلاتها العصفور الدوري، وهي تفاخر بأن عائلتها تقطن استراليا منذ قدم آل دلوين. وهناك رجلان يعملان في الحديقة والسائق ساندرز. انتهت جيرالدين من الطابق الارضي وأعطت جيرالدين تعليماتها الى ترينا واشارت الى الغرف التي يمكنها استعمالها هي والاولاد. أشارت الى مكتب اندرو وانذرتها بالابتعاد عنه الاّ حين يطلب هو اليها الاجتماع به لتصريف بعض الشؤون المتعلقة بالاولاد وتعليمهم. ان اندرو رجل غريب الاطوار. الحمدلله لا يحضر الى براكيه الا في نهاية الاسبوع.
مشت جيرالدين الى السلالم العريضة التي تربط الطابق الارضي بالطابق العلوي. لحقت ترينا بها صامتة. في الطابق العلوي شرفة كبيرة لها ثلاث واجهات تشرف منها على القاعة الكبرى في الطابق الارضي، وهناك ممر طويل من وسط الشرفة الى الطرف الآخر للمنزل حيث توجد سلالم اخرى ليست بعرض ولا زخرفة السلالم العريضة. انها ولا شك سلالم يستعملها الخدم في المنزل. وتقع غرفة اندرو في بداية الممر. بينما غرف الاولاد وغرفة ترينا في الجانب الآخر بعيداً عن غرفة اندرو. وهناك أيضاً غرفة الدراسة وضمنها غرفة التسلية، وقد اسمتها جيرالدين غرفة الضوضاء أو الضجيج، بعيداً جداً عن شقة اندرو.
«واظن انه يسرك ان تكون غرفة الدراسة بعيدة عن الجميع. هنا يمكنك ان تضربي رؤوسهم بعضها ببعض اذا تمادوا في شيطنتهم وهناك غرفة ثانية ضمنها يمكن استعمالها للتسلية وقت الراحة. انا لا أريدهم ان يدرسوا باستمرار بدون توقف بل ان يقسموا وقتهم بين الدرس واللعب».
تحتوي غرفة الدراسة على أربعة مكاتب باحجام مختلفة وقد رصت فوقها كتب القواعد والحساب التي طلبتها ترينا. ومكتبة صغيرة في مقدمة الغرفة لاستعمال ترينا وخلفها اللوح الاسود. الاضاءة جيدة والنوافذ كبيرة تغطي حائطاً من الغرفة.
«انها ممتازة، ماذا قال الاولاد عنها؟».
«لقد رأوها وغادروا الغرفة على رؤوس اصابعهم بدون أي تعليق. كل منهم يكشر تكشيرة شيطانية. انا لا احسدك على مهمتك. عليّ ان اعترف لك».

ضحكت ترينا كثيراً وهزت رأسها بأنها لا تكترث. فتحت جيرالدين الباب الى الغرفة المجاورة، غرفة التسلية. في زاوية من الغرفة حصان خشبي للقفز والرياضة البدنية وبالقرب منه بعض الاخشاب المتوازية وأدوات للرياضة غيرها، وفي زاوية اخرى طاولة مغطاة بقماش أخضر من أجل لعب كرة الطاولة. النوافذ كبيرة وعريضة وتقع تحتها مباشرة خزائن عديدة ملونة بألوان متناسقة مليئة بالالعاب والألغاز التي يتسلى بها العقل. هناك أيضاً طاولة كبيرة في الوسط وحولها بعض الكراسي وفوقها راديو ومسجلة وبعض الاسطوانات.

انحنت ترينا الى المسجلة وهي تبتسم:

«هل استطيع ان افحصها؟».

«طبعاً سيعجبك قسم منها. جولي لها ذوق الكبار في الموسيقى».

هزّت ترينا رأسها موافقة وقد بدا الاهتمام على وجهها. هذه المجموعة من الاسطوانات ستخبرها الكثير عن ميول الاولاد. سألتها:

«هل اختاروا هذه الاسطوانات بأنفسهم؟».

هزت جيرالدين رأسها موافقة:

«لقد حصرت العدد بست اسطوانات لكل منهم. انها تسلية مفيدة في المساء أو في أيام الشتاء حين ينتهون من تحضير دروسهم بالطبع».

وافقتها ترينا وقالت:

«طبعاً».

لم تنس مهمتها الاولى في براكيه وهي تعليم الاولاد. سيسرها ان تسمع الموسيقى برفقتهم. جميع اسطوانات جولي من الموسيقى الكلاسيكية. بينما اسطوانات رود من المغامرات. اسطوانات الصغيرتين كلها من القصص الخيالية الحالمة وقصص الجنيات.

«حسناً. هل اختيارهم ينبئك اي شيء عن اخلاقهم وميولهم؟».

«قليلاً، لكنني سأكتشف بنفسي كل شيء عنهم قريباً».

اخرجت ترينا حوائجها من حقيبتها في المساء. كانت مسرورة في غرفتها الانيقة التي تشرف على الوادي المنبسط وتمنت ان تكون مهمتها هنا سهلة. لقد غادرت جيرالدين براكيه واصبحت هي المسؤولة عن الاولاد. المنزل مليء بالخدم، اذن هي ليست وحدها المسؤولة عن الاولاد. أحست براحة

كبيرة مع موظفي المنزل. ستعيش معهم باطمئنان وشعرت بأنهم جميعاً اصدقاؤها. سرى الدفء في قلبها، فهم سيساعدونها في مهمتها ولن تكون حياتها صعبة برفقتهم. يكفيها أن مالك المنزل ومديرها صعب التعامل...

اندرو دلوين؟ كيف هو؟ انه شاب... عليها ان لا تقترب منه... فهو نكد ونزق وسريع الغضب مثل اي عازب كبير... ما دامت ستبتعد عنه هي والاولاد فلن يكون هناك اي مشكلة. من الغريب ان لا توجد في المنزل أي صورة له.

هزت ترينا كتفيها بدون اكتراث وطرحت جانباً هذه الفكرة الغريبة. همها الآن ان تتعرف الى الاولاد. جلست تتحدّث معهم قليلاً، لم يعدوها بالهدوء. انها تخشى هذه المشكلة. لن يكونوا مطيعين ولن ينقادوا بسهولة. لهم أرواح متمردة ولقد اعتادوا أن يظهروا احاسيسهم امام الجميع. كانت تفكر ببعض الوسائل التي تجعل مهمتها معهم أقل صعوبة. ستجرب هذه الطرق معهم لترى فعاليتها. الاهم في نظرها ان تبقى هي والاولاد بعيداً عن طريق الاستاذ اندرو. وهي لا ترغب في ان تزعج سلام وهدوء سيادته.

كانت الشمس تسطع من النوافذ فوق وجوه الاولاد الصغار، وترينا تقف قبالتهم بأناقة فائقة ترتدي فستاناً كحلياً محتشماً وتعقص جديلتيها كتاج فوق رأسها. لقد شدت غرتها السوداء اللامعة الى الخلف بعيداً عن جبهتها. كانت عيناها الزرقاوان تشعان بالحيوية والشباب، وقد وضعت القليل من البودرة فوق وجهها ولونت شفتيها بحمرة باهتة. شكلها يؤكد انها ليست معلمة مدرسة بل جنية صغيرة مقنّعة تمثل دور الاجتهاد والجدية.

كشّرت جولي ثم صفرت باعجاب ونظرت من طرف عينيها وقالت:

«وأنت لن تعطينا دروساً؟ أليس كذلك؟».

«بلى» اكدت لها ترينا وهي عابسة. «انني هنا من أجل تعليمكم وهذا بالتأكيد ما سأفعله لا يكون لديك ادنى شك بهذه الحقيقة».

اقترح رود ضاحكاً:

«وماذا لو لعبنا؟».

هزت ترينا كتفيها كأن ذلك لا يعنيها لا من بعيد ولا من قريب وقالت:
«وعندئذ، حين تذهبون جميعكم الى المدرسة، ستكونون الاغبياء في صفوفكم وربما الأواخر. ومن الممكن ايضاً ان يضعوكم في صفوف أدنى مما تتطلبه اعماركم».

عبست جولي قليلاً وهي تفكر جاهدة في نجاح دراستها. قالت ترينا:
«انت تعرف يا رود أن ايام التهرّب من المدرسة قد ولّت. لقد هربتم بما فيه الكفاية. ولا مجال للتذمر من العلم بعد الآن».

وافقت جولي على كلام ترينا وهي مسرورة لانها تعاملها على قدم المساواة مع الكبار وقالت:
«اعتقد ذلك».

لم يقل رود أي شيء. كان يفكر في امكانية تصنيفه مع الكسالى في الصف وهذا لا يتماشى مع عزة نفسه وكبريائه. الصغيرتان ليتث وغايل لم تفهما الوضع ولكنهما حتماً ستتبعان اختيار جولي ورود في حل هذه المشكلة.

قالت ترينا:
«من الافضل لنا أن نبحث هذا الامر بوضوح الآن. انا لا اسألكم التعاون معي بل أؤكد لكم أنني اذا لم أنجح بمهمتي التي حضرت من أجلها الى هنا سيطلبون لكم معلمة غيري لتقوم بالمهمة. أو ربما تذهبون الى المدرسة لتكتشفوا ان الاولاد الذين هم اصغر منكم سناً يعرفون اكثر منكم. حان الوقت لتكبروا قليلاً وتعرفوا مصلحتكم».

«اعتقد انك على حق». قالت جولي موافقة «واذا لعبنا واهملنا دراستنا سوف يحضرون لنا عجوزاً شمطاء بدلاً من الآنسة ترينا».

وافقتها ترينا كأن الامر لا يعنيها ابداً وقالت:
«ربما».

«اوه. حسناً سنحاول ان نجيد التصرف قدر الامكان». قالت جولي عابسة وهي تغمز بشيطنة محببة. «وربما سيكون الدرس صعباً علينا، لأننا لم نعتد الدراسة وواجباتها».

كانت الدراسة صعبة عليهم بدون شك ولكن ترينا تعترف انهم يحاولون جاهدين. كانت جولي قائدة المجموعة في كل شيء. ورود ساعدها الأيمن ويتبعها فيما تفعل بتحفظ بينما الصغيرتان تتبعانها بدون ادنى

تحفظ. عندما تكون جولي سهلة القيادة ومطيعة تكون المجموعة كلها كذلك. ولكن شيطنتهم موجودة في داخلهم ولا بد من أن تنفجر في وقت من الاوقات.

امضت ترينا الصباح الاول في اعطائهم تمارين مختلفة لتتعرف الى مستواهم العلمي. وجدت معلوماتهم أفضل بكثير مما انتظرت او مما اخبروها عن مدى تأخرهم. ربما كانوا يعبثون في الظهور بمن يعرف اقل من حقيقته. تنهدت ترينا براحة. لقد وجدت ان الامر لن يكون صعباً كما توقعت. تستطيع ان توصلهم الى مستواهم المطلوب قبل بدء الموسم الدراسي، اذا واظب الاولاد على التعاون معها كما وعدوها. تغدوا جميعاً في غرفة التسلية ثم عادوا بعد الغداء الى غرفة الدراسة. في الرابعة بعد الظهر مسحت ترينا اللوح وهي تبتسم راضية وقالت:
«انتهينا اليوم».
سألتها جولي بمرح:
«كيف كنا؟».
«جيد تقريباً. ولكن لا يركب رأسك الغرور». قالت ترينا مازحة «داومي على الاجتهاد لتبقي جيدة وربما غداً تكونين أفضل».
«ليكن عندك قلب». قالت جولي معترضة «انت سيئة مثله. مثل زيوس».
«من؟» سألتها ترينا وقد اخفت ضحكة مرحة حين عرفت ان الفتاة ترمز الى اندرو. «هل تقصدين عمك؟».
«انه ليس عمنا». قالت غايل «انه مسؤول عنا الآن فقط».

اخفت ترينا عبوسها هذه المرة. حتى الاولاد الصغار يعرفون انهم غير مرغوب فيهم في هذا المنزل. شعور بغيض بعدم الأمان يملأ كيان الاولاد. هم يتوقعون ان يغادروا براكيه في أي وقت.
سألتهم ترينا متعجبة:
«لماذا تدعونه زيوس؟».
هزت جولي كتفيها دون اكتراث وكشرت:
«زيوس كبير الرموز عند اليونانيين القدماء. وهو دائم العبوس والوعيد؟».

هذا الوصف لاندرو يؤكد لها انه ميؤوس منه. اكتأبت ترينا قليلاً وكرهت لقاءه مسبقاً.

«ولكنّ لزيوس وجهاً آخر، وربما لا يعجب عمكم لو سمعكم تنادونه بهذا اللقب».

«اوه؟ ما هو؟». سألتها جولي باهتمام فائق «هل كان يتقبل القرابين ويحرقون له البخور. . . او شيء من هذا القبيل؟».

«لا. كان دائم السعي وراء الفتيات الجميلات على الارض. وكانت زوجته تهيمن عليه بسحرها وتغيّر فتياته الجميلات الى بقر أو حيوانات اخرى».

ضحكت جولي كثيراً ولكن رود كان يضحك كمن يصرخ. انضمت الصغيرتان وشاركتها ضحكها بدون ان تفهما اسبابه بوضوح.

«هل تعرفين انك معلمة غير عادية» قالت جولي بعد ان هدأت موجة الضحك معها. «ومعلمتنا الاخيرة في المدرسة كانت تشبه الارنب البري. . . علينا ان نبقيك هنا».

«شكراً» قالت ترينا بصرامة «ولنرى اذا كان الشاي جاهزاً. لقد اكلنا الكثير وقت الغداء ولا أعلم اين سنضع كل هذا الطعام».

ضرب رود فوق معدته الخاوية وقال:

«المكان هنا يتسع للكثير».

لقد اكلوا بشهية وربما اكثر مما اكلوا على الغداء. قالت جولي تخاطب ترينا:

«سترقصين لنا هذا المساء. اليس كذلك يا ترينا؟».

تناست ترينا استعمال اسمها بدون مقدمات مع أنها كانت واثقة بأن ذلك لا يجوز في مجال التربية، سألتها:

«ما الذي اوحى اليك بهذه الفكرة؟».

«انه الالهام». قالت جولي مكشرة «سترقصين لنا؟ اليس كذلك؟».

تردّدت ترينا قليلاً قبل ان توافق:

«حسناً. عندما تستعدّ الصغيرتان للنوم ننتقي اسطوانة مناسبة».

سألتها الصغيرتان وقد فرحتا بموافقتها:

«وهل نستطيع ان نتفرج ايضاً؟».

حان وقت تنفيذ وعدها. ذهبت ترينا الى غرفتها واستبدلت ثيابها الضيقة ولبست فستاناً أبيض واسع التنورة وانتعلت حذاء الباليه. كانت قد احضرت معها ملابسها لانها ترغب في أن تتمرن في غرفتها وقت فراغها. ثم خرجت من جديد قاصدة غرفة التسلية. كان رود مع جولي يفتشان بين الاسطوانات عن اسطوانة مناسبة. سألتهما:

«هل اتفقتما على الاسطوانة؟».

حمل رود اليها اسطوانة يتصدر غلافها عربة قطار تحتمي من هجوم الهنود الحمر. وقال:

«يمكنك ان تؤدي رقصة حرب بديعة على انغام هذه الاسطوانة».

ارتجفت ترينا خوفاً. لماذا سمحت لهم بوضعها في هذا المأزق؟ قالت جولي ضاحكة:

«الا تستطيعين ان تخترعي بعض الحركات وانت ترقصين؟ لقد اعتقدنا ان الصغيرتين ستحبان ذلك اكثر من اي شيء آخر».

كانت جولي صادقة فيما تقول بالرغم من ضحكتها المازحة. وجدت ترينا نفسها راغبة في الانتهاء من هذا المأزق بسرعة. سترقص لهم مهما كان الثمن. طلبت اليهم اسماعها الاسطوانة اولاً. وبعد ان سمعتها تمنت ان تنجح في هذه المهمة الصعبة. يلزمها بعض الادوات للزينة لتكون الرقصة اقرب الى الحقيقة. الادوات موجودة ضمن العاب الاولاد في الخزانة تحت النافذة. انها رقصة حرب هندية تقليدية. أي عضو من قبيلة الاباتشي يستطيع ان يؤدي الرقصة أفضل منها بكثير مع انها راقصة محترفة. حين دخلت الخادمة مارغريت مع الصغيرتين لينيت وغابل برّت ترينا بوعدها وقامت لترقص لهم. وضعت فوق رأسها قبعة الريش التي جلبها لها رود من بين الالعاب وناولها الفأس القاطع وهو لعبة من النايلون لتمسكه بيدها اليمنى لتحارب.

سألته ترينا بمكر:

«وهذا ايضاً؟».

قالت جولي باصرار:

«حتماً». ادار رود الاسطوانة وللفور سمع قرع الطبول. ابتعد الجميع عن المسجلة وتجمعوا في زاوية يراقبونها.

بدأت ترينا ترقص مسرورة فرحة. موسيقى الاسطوانة لها ايقاع حماسي. كان قرع الطبول يسمع صداه في قلبها ودمها، وكانت تتجاوب مع الايقاع وتزيد من سرعتها اكثر فأكثر مما جعل شعرها يقع عن رأسها الى كتفيها مما أعطاها شكل المحاربة الهندية. صفقت لها جولي اعجاباً وكذلك رود. تنبهت ترينا أن باب غرفة التسلية فتح بهدوء ودخل رجل وجهه أسود كالرعد وقف يتفرج على هذا المشهد. ولم يكن من الضروري اخبارها من يكون. لقد عرفته لفورها...

٢- وجه أمام المرآة

توقفت ترينا عن الرقص فوراً. سقط لباس رأسها فوق عينيها. بدأت جولي تضحك على شكلها ولكنها لاحظت أن توقّف ترينا عن الرقص يعود لسبب آخر غير سقوط الريش فوق عينيها. نظرت جولي الى الباب وشحب وجهها وصرخت:

يا الهي!

صرخة جولي التعجبية جعلت ترينا تتمالك أعصابها وتبعد عنها الخوف. اكتشفت أنها لا تزال تقف على رؤوس أصابعها ويدها مرفوعة بالفأس. نزلت مستوية الى الارض وتنفست نفساً عميقاً، ورمت الفأس الذي بيدها فوق الطاولة، ونزعت عن رأسها لباس الريش ووضعته قرب الفأس. تستطيع الآن ان تركز اهتمامها بالرجل الواقف بالباب، احست ان نفسها قد علق ببلعومها. كانت ندبة مثلمة خشنة طويلة فوق خدّه الايمن اول ما لفت نظرها. عرفت الآن لماذا لم تر له اية صورة في المنزل.

«قالت لي السيدة جاميسون أنني استطيع مقابلة معلمة الأولاد الآنسة مريتون هنا».

«أنا ترينا مريتون».

قال اندرو:

«فهمت!».

كانت نظرات عينيه السوداوين باردة ومعادية كصوته، تفحّصتها من اخمص قدميها الى قمة رأسها.

«انت لست كما كنت انتظر».

قالت جولي وقد استعادت شيئاً من جرأتها:
«وليست كما انتظرنا ايضاً».
نظر اندرو الى جولي بعينيه الباردتين الخاليتين من الدفء أو الحنان:
«بالتأكيد لا».
ثم نظر الى ترينا من جديد كأنه عاصفة ثلجية مدمرة.
«ربما يا آنسة مريتون تستطيعين الحضور الى مكتبي عندما تنتهين من عرضك بالطبع».
استدار اندرو وخرج بعد ان اغلق الباب بكل هدوء بدون أدنى صوت.
اندرو دلوين غير عنيف. انه لا انساني ولا يمكن لاي مشاعر او احاسيس ان تتحكم في تصرفاته. هو بالطبع مستاء من اختيار عمته لمعلمة للأولاد.
«بررر...» ارتجفت جولي بطريقة مصطنعة. «اشعر بالبرد».
«لم نكن ننتظر ان يحضر قبل يومين (سأل رود) لماذا حضر قبل موعده؟».
نعم لماذا؟ غرفة التسلية مخصصة للاولاد ليفعلوا هنا ما يحلو لهم. اذا رغبت معلمتهم ان تلهو برفقتهم فهذا ولا شك شأن من شؤونها الخاصة. طالما هي تحافظ على النظام عندما تحتاج النظام فلن يلومها احد على لهوها معهم. لا يمكن لاندرو ان يحضر الى غرفة التسية وهو يحمل وجهاً كالعاصفة. اذا كان لا يستطيع ان يتمتع بمباهج الحياة فليترك الآخرين يتمتعون بها اذا رغبوا. كان باستطاعته ان يرسل خادمة يطلبها للاجتماع به ولا يحضر بنفسه كما فعل.
نظرت مارغريت الى ترينا وهي ترثي لحالها. ابتسمت وامسكت بالتوأم الصغيرتين:
«سآخذ الصغيرتين الى فراشيهما يا آنسة مريتون. جولي ورود يتأخران ساعتين بعدهما».
ذهبت خارج الغرفة قبل ان يعترض احد.
عبست جولي من كلام مارغريت ثم نظرت الى ترينا مواسية. كانت ترينا تلتقط دبابيس شعرها عن الارض لتعيد عقص جديلتيها كما كانتا فوق رأسها. قالت جولي:

«اتمنى لك حظاً سعيداً. انتبهي من وعيده!».
مشت ترينا الى غرفة مكتب اندرو لتجتمع به. كانت تتمنى لنفسها الحظ فهذه بداية غير مشجعة. كانت تريد ان تكون مرتدية الثياب المحتشمة والمظهر اللائق بها كمعلمة مدرسة في أول لقاء لها معه، وبدلاً من ذلك رآها تلبس قبعة من الريش فوق رأسها وتمسك الفأس بيدها وهي ترقص رقصة حرب هندية. لا يمكن ان يكون شكلها اسوأ مما كان. هل من المعقول ان يطلب اليها ان ترحل فوراً؟ لا. لا بد ان يتعرّف الى قدراتها ومؤهلاتها التربوية قبل ان يطلب منها الرحيل. بامكانها ان تعلّم الاولاد وتقوم بواجبات الوظيفة التي قدمت من اجلها.
رفعت ترينا يدها. ترددت قليلاً ثم دقت بلطف على الباب وسمعت امراً بالدخول. دخلت. نظرت الى اندرو كان واقفاً امام مكتبه طويلاً اسمر البشرة. عيناه سوداوان وكذلك رموشه وحاجباه. شعره اشقر بلون البلاتين. انه جذاب ووسيم. الندبة فوق خده الايمن لا تعيبه. بل على العكس تضفي عليه مزيداً من الوسامة. ربما تعود وسامته الى شعره الاشقر الذي يحيط بعينيه السوداوين. هذه المفارقة العجيبة هي من صنع الطبيعة. تكاوينه رقيقة وقد لوحته الشمس وزادت من سمرة بشرته. انه ولا شك وسيم وجذاب. كيف سيكون شكله لو ابتسم؟ ان ذلك غير معقول فهو يبدو انه لا يعرف الابتسام في حياته. رفع اندرو يده الرقيقة والقوية ولامس الندبة فوق وجهه ونظر اليها ساخراً وقال:
«الا تلاحظينها؟».
قالت ترينا بدون تردد:
«نعم».
لا يمكنها ان تنكر وجودها. ان الندبة ظاهرة بوضوح فوق وجهه ولكنها لا تعيبه ابداً. من غير المعقول وهي فتاة غريبة ان تقول له انه الرجل الوحيد الذي التقته ويحمل ندبة في وجهه تزيده وسامة.
قال اندرو متذمراً. كأنه لا يريد ان يمدحها ولو بكلمة هي حقيقة واضحة:
«أنت صادقة على الاقل».
لم تعلّق ترينا على كلامه. موقفها لا يحتاج الآ للانتظار. وقفت امامه

شكلها بسيط وجديلتاها معقوصتان فوق رأسها بانتظام، تمنت ترينا ان لا يعترض حتى على شكلها الخارجي ويقرر ايضاً ان شكلها لا يعجبه. انه من الاشخاص الذين يتأثرون بالنظرة الاولى ويحكمون على هذا الاساس. تذكرت شكله العاصف ساعة وقعت عيناه عليها لأول مرة.

«هل توافقينني ان العرض الذي شاهدته منذ لحظات ليس كما انتظر من انسان حضر الى هنا في مهمة تربوية تعليمية».

«اعترف أنّ العرض ليس تربوياً ولكن الاولاد كانوا يتسلون مسرورين. ان ساعات التدريس لهذا اليوم قد انتهت».

تعجّبت ترينا من جرأتها. انها ليست آسفة. عليها ان تريه منذ البداية انه لا يحق له ان يتكبّر عليها. لقد اقتنعت ترينا اليوم ان مؤهلاتها ممتازة لهذه الوظيفة ولا ينقصها الاّ الخبرة.

رفع اندرو حاجبيه السوداوين. وعلى فمه ابتسامة ساخرة. سألها:

«صحيح. انت لا ترغبين في تعليمهم في المساء؟».

«انهم اولاد اذكياء. اذا تابعوا دراستهم بجدية لن يحتاجوا لدراسة مسائية ايضاً. لو كان... (توقفت عن متابعة حديثها وهزت كتفيها). بالطبع لو احتاجوا دروساً اضافية في المساء فسأعطيهم ما يلزمهم».

هزّ اندرو رأسه موافقاً وهو يفكر برصانة وقال:

«انت تعرفين أننا لا نحتاجك هنا الاّ لبدء الفصل الدراسي؟».

كانت عيناه تراقبانها بدون ان يبدو اي تعبير فيهما.

«لن يحتاج الاولاد لممرضة او رفيقة او اي شيء من هذا القبيل».

رفعت ترينا رأسها الى الخلف بكبرياء وقالت ببرود مصطنع:

«انا اعرف ذلك جيداً. وانا ايضاً لا ارغب في البقاء، لدي عملي الذي احبه كثيراً وسأعود اليه».

ليأخذ اندرو كل امواله ويدخنها في غليونه، امواله لا تهمها. تذكرت ما قالته لها جيرالدين حين حذّرتها من التعامل معه. من غير المعقول ان ترغب اي فتاة في التعرف اليه فهو لا يحاول ان يغيّر من طباعه القاسية وعبوسه. الذنب ذنبه اذا كانت النساء حوله يرغبن في امواله اكثر من رغبتهن في شخصه.

«حقاً؟ (كان صوته بارداً) هل لي ان اسألك ما هو تخصصك وفي اي

حقل تعليمي؟».

«وانا لست معلمة مدرسة (توقفت قليلاً ثم اضافت عن قصد)، انني راقصة باليه».

بعد ان سمعت كلماتها احست انه من غير المعقول ولا يمكن ان يكون حقيقة. تأسفت ترينا لانها اخبرته الحقيقة ثم غيّرت رأيها لأنها تودّ ان تكون صادقة في معاملاتها معه منذ البداية. هي لم تخف حقيقة أمرها عن جيرالدين فلماذا تخفيها عنه. لن يتهمها مرة ثانية بأنها لا تملك الخبرة في التعليم. نظرت اليه. سرتها نظرة المفاجأة التي كست وجهه.

«راقصة باليه! «عبس اندرو» ولديك الوقاحة لتحاولي تعليم الاولاد».

انه مغرور ومتزمت. يتمسك بالمبادىء حتى الازعاج. اخفت ترينا غضبها وسخريتها. لن تنفعل امامه حتى لا يعتقد بانها راقصة هوائية المزاج.

«ربما لدي... الوقاحة، كما تقول ان اقبل القيام بعمل لم امارسه من قبل. ولكنني شرحت الوضع لعمتك بصراحة. في البداية قالت لي ان ذلك لا يناسبها. ولكن كل اللواتي حضرن لمقابلتها بعد ان قرأن الاعلان في الجريدة كنّ لا يناسبنها او لا يستطعن الحضور. لقد كنت انا الوحيدة التي تقدمت للوظيفة».

«كنت افضل المعلمات السيئات».

انهى اندرو كلامه وصمت قليلاً.

«شكراً».

قالت ترينا ببرود وهي لا تخفي كراهيتها له.

«ولو كنت اسوأ المتقدمات ام لم اكن... لقد طلبتني عمتك لمقابلتها للمرة الثانية ووجدت بعد ان درست مؤهلاتي العلمية انني استطيع تدريس الاولاد».

سألها بخشونة وسخرية:

«وما هي هذه المؤهلات؟».

«حصلت على درجة علمية متفوقة من جامعة دورمنستر في مواد مشتركة بين العلوم والآداب. ونجحت في مادة الحساب في شهادة الثانوية العامة الرسمية بدرجة ألف. لن اجد صعوبة في شرح الكسور العادية او الكسور

العشرية للاولاد اذا كان هذا ما يزعجك يا استاذ دلوين. عن اذنك. سأعود الآن الى جولي وروود. ربما تعلمني في الصباح اذا كنت تريدني ان ابقى أم أرحل».

انحنت ترينا ببرودة وتركت الغرفة في اعقابها. اغلقت الباب بتحفظ شديد كما فعل هو ساعة غادر غرفة التسلية مع أنها كانت ترغب في ان تغلقه بشدة وخشونة وتصفقه صفقاً.

كم هو كريه وبغيض ولا يحتمل. لم تلتق شخصاً يماثله في حياتها ابتسمت ترينا وهي تتذكر معاملتها القاسية له. لقد طلبت رأيه في الصباح كأن الامر لا يعنيها ان بقيت في وظيفتها هذه أم خسرتها. طريقته وأسلوبه فرضا عليها ان ترد له الصاع صاعين. لم تكن مهمتها سهلة، تركت الابتسامة وجه ترينا وحلّ محلها العبوس وهي تتذكر امكانية رحيلها عن براكيه. ستعود لتواجه مشكلتها من جديد. ستعود لرؤية دنيس. لقد وجدت ترينا في عملها الجديد وفي تعليم اولاد كاميل الاربعة بعض ما يلهي تفكيرها ويبعده عن دنيس. ولكن وقت النوم لم يحل دون وجوده في تفكيرها. الليلة الماضية بالرغم من تفكيرها بمسؤوليتها في تعليم الاولاد الا ان ذكراه المؤلمة عاودتها بقوة. تشتاق الى صوته وحنانه. لا تستطيع قطعاً ان تنساه. الليلة الماضية كانت ترغب قربها اكثر من أي وقت مضى. هي تعلم انه بعيد جداً عنها وعليها ان تحاول نسيانه. اذا التقته مرة ثانية ستحاول ان يكون لقاؤها به سطحياً وان تنسى تأثيره عليها.

ان دنيس رجل فاسد وهو فاسد معها ومع غيرها. لقد اعطت ماردا رأيها فيه بصراحة، بأنه سيء وعفن في جوهره وقد وافقتها ترينا على قولها وهو أناني وقاس ولا يقيم أي وزن لقيم او مبادىء ولا يحترم العقائد التي تربت هي عليها ومع كل ذلك لم تستطع ترينا ان تمنع نفسها من الوقوع في حبه وربما لن تفلح ابداً في نسيانه. المثلث دنيس وليندا وترينا... دنيس متزوج من ليندا. ترينا تحب دنيس وليندا لا تمنحه الطلاق. ما هي نتيجة حب ترينا ودنيس. لا نهاية سعيدة... لا أمل.

أهو حب ما تشعر به نحو دنيس ام افتتان؟ من الصعب على ترينا ان تقرر. كم تتمنى ان يكون افتتاناً ويزول عنها هذا الكابوس البغيض يوماً ما ليتركها حرة من جديد، حرة في عواطفها وحرة في تفكيرها ومحررة من

قبضته الى الأبد. ربما عندئذ ستقع في الحب... الحب الحقيقي هذه المرة، ومع شخص آخر حر في ان يرد لها حبها مضاعفاً. واذا لم تقع في حب جديد فانها ستهب حياتها لعملها، ستكتفي بالعمل الشاق في الحياة واذا وجدت ان ما يربطها بدنيس هو الحب وليس الافتتان ستنخرط في عملها كلياً كي تنساه. ربما حزنها سيحسّن اخلاقها ويساعد على ابداعها في الرقص لتصبح راقصة باليه شهيرة، سيحضر دنيس ويتفرج على عرضها من بين الحضور ويحن اليها من بعيد.

ضحكت ترينا لخيالاتها، كانت تعرف ان باستطاعتها ان تنجح في الرقص ولكنها لن تصبح شهيرة وعظيمة. ستنجح على قدر امكاناتها التي تملكها. وهذا بالنسبة اليها سيكون كافياً ومرضياً.

دخلت ترينا غرفة التسلية. كانت عيون جولي وروود المتسائلة بانتظارها. سألتها جولي كأنها صديقتها:

«هل كانت المقابلة خشنة وقاسية؟».

رفعت ترينا اصابعها المتشابكة كأنها تطلب حظاً وقالت:

«ربما أرحل غداً او ربما ابقى».

«من الافضل له ان يتركك هنا ولا يرسلك بعيداً (قال روود) سنقيم الدنيا ونقعدها ان فعل».

اعترضت ترينا بلطف:

«روود! انتبه الى ألفاظك! (لقد سرها كثيراً شعورها بان الاولاد يحبونها) يحق له ان يرفضني ان اراد. انني لست معلمة مدرسة محترفة».

«سيندم الرجل العاصفة إن فعل».

قالت جولي ثم وضعت يدها مواسية فوق ذراع ترينا وأضافت «ولن تدعه يرسلك على اعقابك؟ تدريسك لنا مفيد وملذ. سيزعجنا كثيراً لو حضرت عجوز شمطاء مكانك».

حاولت ترينا ان تخفي ضحكتها ولكنها لم تفلح:

«انا لم اعطكم دروساً بعد. لقد اعطيتكم بعض التمارين فقط. ولا استطيع فعل شيء ان رغب في ترحيلي».

قالت جولي:

«هذا صحيح. ليس بيدنا اي حيلة».

كانت تحاول ان تفكر بحل لهذه المشكلة. وقف رود مفكراً ايضاً وقد وضع يده خلف ظهره وبدا عابساً.

«علينا ان نجد وسيلة... ترينا الا تستطيعين...».

توقفت جولي قبل ان تنهي كلماتها تنظر الى ترينا وهي تتساءل:

«لا. لا تستطيعين. أنت لست من هذا النوع من الفتيات».

سألتها ترينا بانزعاج:

«أي نوع تقصدين؟».

ضحكت جولي وقالت:

«انت لا تستطيعين اغواءه!».

قالت ترينا مؤكدة وقد ازعجتها فكرة جولي كثيراً:

«لا أحد يقدر!».

اقترح رود بمكر:

«ماذا لو نستعمل معه التنويم المغناطيسي؟».

سألت جولي باستغراب:

«وهل تعرف أحداً يتقن هذا الفن؟».

«لا».

اعترف رود. وبالتالي سقط هذا الاقتراح غير العملي. ران الصمت بينهم. هؤلاء الاطفال الاذكياء. لم تتمكن ترينا الا ان تبتسم راضية. لم تعد تريد البقاء في براكيه من اجل الهروب من دنيس... بل ترغب البقاء من اجل الاولاد. لقد أحبتهم كثيراً وتريد تدريسهم ليصبحوا من الاوائل في صفوفهم. وترغب ايضاً ان تتحدى اندرو دلوين وتجعله يندم على مخاطبتها بهذه اللهجة او ربما في الشك بمقدرتها في تعليم الاولاد.

«هو لم يقرر بعد. لم يقل لي ان ارحل».

نظرت ترينا الى ساعتها تود تغيير دفة الحديث لناحية اخرى.

«لدينا ساعة ونصف قبل موعد النوم. ماذا تفضلون ان نفعل سوياً؟».

قال رود:

«عليّ أن آخذ الجرو في نزهته المسائية قبل موعد النوم».

كل ليلة وبمعاونة السيدة جامسون يأخذ رود جروه الصغير خلسة الى غرفته. لا احد يعرف حقيقة الامر. هل كان اندرو يعرف هذه الحقيقة

ويتعامى عنها. ترينا تعتقد انه يجهل هذا الواقع. فهو من النوع الذي سيرفض السماح لرود باصطحاب جروه الى غرفته. خرج رود في مهمته المسائية المعتادة. نظرت ترينا الى جولي وهي تبتسم سألتها جولي:

«ترينا هل ترغبين حقاً بالبقاء؟».

«نعم اريد ان ابقى. اريد ان ابتعد في الوقت الحاضر عن سيدني».

اضافت ترينا بسرعة بعد ان رأت نظرة اهتمام تكسو وجه جولي: «لا، لا تعتقدي انني هاربة من وجه العدالة».

«اوه انك تهربين من رجل. تهربين من ثور كبير مجنون. هذا هو الحال عادة».

صعقت ترينا من قول جولي لدرجة انها فقدت معها القدرة على التفكير. لم تستطع ان تنفي رأي جولي بالموضوع. حين حاولت ترينا الكلام سبقتها جولي وهي تهز كتفيها بدون اكتراث.

«اعرف انني طفلة مبكرة النضوج. كان والدي يقول ذلك عني. لن تستطيع ان تغير الحقيقة. لقد تأخر الوقت».

انها بالفعل مبكرة النضوج ومذهلة. سألتها ترينا:

«وهل يجب ان يكون رجلاً؟».

«ليس بالتأكيد ولكن غالباً ما يكون الهروب من رجل عرفت ان هناك ما يشغل فكرك واعترفت انت برغبتك في الهروب من سيدني. الرجل هو السبب الاقرب لمشكلتك».

لم تجد ترينا ما تقوله. هزت رأسها:

«افضل ان لا نتكلم بهذا الموضوع يا جولي. ان ذلك...».

«من الامور الصعبة؟» أكملت جولي عنها جملتها «لنتكلم في شيء آخر. هل ترقصين لي؟».

قالت ترينا باستغراب:

«ارقص مرة ثانية؟».

«لقد افسد علينا الرقص الرمز زيوس بدخوله علينا».

رددت ترينا:

«وربما يدخل علينا مرة ثانية».

قالت جولي ترجاها:

«لا. من غير المعقول ان يدخل الغرفة مرتين في ليلة واحدة. لقد قام بزيارته الملكية. هل ترقصين؟».

وافقت ترينا لأنها تحب الرقص في أي وقت كان ولأي سبب. وقد وجدت فيه فرصة جيدة لابعاد افكارها عن دنيس. لقد حركت جولي ذكراه في قلبها بقوة.

جلست ترينا تربط حذاء الرقص بينما شرعت جولي تنتقي اسطوانة من المجموعة. منذ اول لقاء لها مع جولي وورود لم تستطع ان تعاملهما معاملة الاطفال. كانت ترينا تعرف بالغريزة ان عليها معاملتهما كالراشدين وعلى قدم المساواة معها. لكنها تحتفظ لنفسها ببعض السطوة لتستطيع السيطرة عليهما حين ترغب. ربما نجاحها معهما يعود لهذا السبب، فهما يكرهان معاملتهما كالاطفال وهذا اهم سبب من اسباب رفضهما وثورتهما. هما انضج بكثير من عمرهما. التوأم الصغيرتان تقلدان التوأم الكبيرين. وهما ليّنا العريكة وطيعان.

سمعت ترينا موسيقى بحيرة البجع تنساب من المسجلة في غرفة التسلية وقفت منتصبة على الفور وبدأت تميل على ايقاع الموسيقى الساحرة لمؤلف مبدع خلدته اعماله الموسيقية.

استفاقت ترينا في اليوم التالي ببطء. تثاءبت مسرورة. كانت الشمس الدافئة تدخل غرفتها عبر النافذة الواسعة. تذكرت فجأة عملها تذكرت اندرو وشكله الغريب، الشعر البلاتيني الذهبي فوق الوجه الاسمر والعينين السوداوين.

سيقرر اندرو هذا الصباح بقاءها او رحيلها عن براكيه. هو سيد المنزل وسيعلمها قراره. لو لم تكن تريد هذه الوظيفة وتحتاجها لقفزت من فراشها ورتبت حوائجها في حقيبة السفر بانتظار الانتقال الى سيدني. انها تعترف ان الحق معه، ماذا كانت تنتظر منه ان يفعل بعد ان فوجىء بمشهد راقص غريب بينما كان ينتظر ان يرى شابة محترمة ناضجة في متوسط عمرها مسؤولة عن تدريس الاولاد... رمت الاغطية عنها وأسرعت ترتدي ملابسها التي كانت قد قررت سابقاً ان تلقاه بها في اول لقاء بينهما. عقصت جديلتيها فوق رأسها بترتيب ورصانة. لبست ثوبها الغامق وقد زينته قبة بيضاء وكذلك رؤوس اكمام بيضاء. نزلت لتناول فطورها، الاولاد

بانتظارها بفارغ الصبر يتساءلون اذا سمعت قراره بعد. هزت ترينا رأسها نفياً.

وصلها طلب للاجتماع به بعد الفطور. تمنت لها جولي التوفيق وكذلك رود والصغيرتان. شعرت أنها محصنة بتمنياتهم القلبية الصادقة. ولكنها لن تحتمل خشونة رئيسها كثيراً.

مشت ترينا الى مكتبه وكانت تفكر بأن جلّ ما يستطيع اندرو ان يفعله هو صرفها. واذا صرفها عليها ان تحارب دنيس بكل قوتها وارادتها. ولن يؤثر كثيراً في حياتها بعد اليوم. لقد صمّمت على محاربته.

كانت هذه الافكار تجول في رأسها حين قرعت باب مكتب اندرو بقوة وسمعت امراً بالدخول. دخلت. كان اندرو جالساً هذا الصباح وراء مكتبه. لم تستطع ان تتبيّن شعوره نحوها... او نحو جميع النساء على حدّ سواء... لكنه نهض بتهذيب لاستقبالها.

«صباح الخير يا آنسة مريتون. ارجوك ان تجلسي».

ردّت ترينا له التحية بمثلها وجلست الى حيث اشار قبالته. كانت اشعة الشمس تنعكس فوق صفحة وجهها المشرقة. لم تلاحظ ترينا اي قرار من لهجته وهو يخاطبها حين قال:

«لقد تكلمت مع عمتي وقد أخبرتني انك الوحيدة الموجودة لاداء هذا العمل...».

وسألت ترينا بمكر لذيذ وكانت نظراتها الساحرة تعني مجلدات لمن يعرفها جيداً:

«هل افترض بقائي؟».

هزّ اندرو رأسه موافقاً بطريقة خالية من اللياقة.

«هذا هو الوضع».

اجابته ترينا في لهجة ساخرة وفيها برودة واشمئزاز:

«شكراً».

نظر اليها اندرو نظرة قاسية ولكنه فضّل ان يتجاهل الانذار الذي حمله صوتها ولهجتها.

«سأكون هنا في عطلة نهاية الاسبوع فقط. أريدك ان تفهمي ان على الاولاد ان يبقوا في القسم المخصص لهم في المنزل أثناء وجودي في

براكيه».

«افهم ذلك جيداً. اؤكد لك يا سيد دلوين لا أنا ولا الاولاد ستزعجك اثناء وجودك هنا. واذا حصل لا سمح الله فسيكون ذلك بامر الصدفة ليس الا».

كانت عيناها الزرقاوان تنفثان الغضب. لم تشعر بمثل تلك العصبية من قبل ولكنها بقيت تحافظ على برودة صوتها. لن تترك لهذا الرجل الفرصة ليشعر انها لا تستطيع السيطرة على هدوء اعصابها... أو يقول بأنها راقصة باليه هوائية المزاج؟ ثم اكملت:

«من حظي السيء ان التقي رجلاً قاسياً مثلك وانا ارغب في الوقت الحاضر بالابتعاد عن سيدني والا لم اكن لابقى لحظة واحدة في هذه الوظيفة. لقد سمحت لي بقبولها بشكل مناف للياقة».

ثم وقفت من مجلسها في عزة وكبرياء وقالت بدون وعي.

«ساعود الآن لعملي مع الاولاد لو سمحت. واذا قررت فيما بعد ان عليّ ان ارحل ارجوك اعلمني بالامر قبل الظهر لاستطيع ان الحق بالقطار السريع المتوجه الى سيدني في موعده».

انحنت ترينا مودعة وخرجت من المكتب زاد غضبها بعد ان اغلقت الباب خلفها وتمنت لو تمسك بأي شيء وتحطمه بكل قوتها. هزت ترينا رأسها غضباً وقالت بتحد:

«لقد نلت حقك منه يا فتاة!».

كانت تفكر بالاعذار لنفسها عن تصرفها. لا يمكن لفتاة تتمتع بالكرامة وعزة النفس ان تقبل هذه المعاملة السيئة من شخص غريب لا تعرفه. ربما تقبل الفتاة هذه المعاملة وتتغاضى عنها فقط من رجل تحبه. هي ستقبل وترضخ لهذه المعاملة من دنيس مثلاً... ولكن مع اندرو فالامر يختلف... حتى دنيس لم يكن ليكلمها بهذه الطريقة الخالية من اللياقة.

استعادت ترينا هدوءها بعد فترة وجيزة وعادت اليها طبيعتها المرحة. دخلت غرفة الدراسة لتلحق بالاولاد. عليها ان تكمل عملها على احسن وجه ما دامت باقية هنا وما دام لم يصرفها من عملها بعد. لو قرر اندرو ان يتغاضى عن تعليقاتها اللاذعة فهو لن يتغاضى عن اي اهمال في عملها...

تسمرت عيون الاولاد عليها بعد ان دخلت الغرفة. سألتها جولي بسرعة:

«ماذا حصل؟ ستبقين ام سترحلين؟».

لقد حسمت الموقف كله بهذه الكلمات القليلة.

قالت ترينا:

«ما زال القرار يتأرجح في الميزان».

اخبرتهم ترينا خلاصة الموقف بدون ان تعيد عليهم تفاصيل ما حدث. استغربت ترينا من جرأتها... انها غلطتها لو طلب منها ان ترحل اليوم.

قالت جولي متذمرة:

«لماذا لا يصل هذا الرجل العنيف الى قرار؟».

رأت ترينا ان لا تذكر لهم حقيقة الامر. لقد قرر اندرو بقاءها ولكنها طلبت اليه ان يعيد نظره بالموضوع من جديد.

بعد قليل استقروا ليدرسوا. مستويات الاولاد العلمية تختلف بين التوائم. ولن يضر جولي وورود ان يستمعا الى شرح دروس الصغيرتين المبسطة. بعد ان انتهت ترينا من شرح الدرس ارسلت الصغيرتين الى الغرفة المجاورة لانهاء بعض التمارين المكملة للدرس ثم تفرغت للتوأم الكبيرين.

كانت ترينا تشرح مادة الحساب حين دخل اندرو غرفة الدراسة بدون ان يستأذن او حتى ان يقرع الباب قبل دخوله. وجمت ترينا للوهلة الاولى ثم نظرت اليه بهدوء مصطنع وقالت:

«هل ترغب يا سيد دلوين في الحديث معي؟».

«سأتحدث معك بعد الدرس. اكملي الآن شرحك».

اذن. لقد حضر اندرو بصفة تفتيشية. حضر ليتأكد من صلاحيتها في عملها. اذا كانت تستطيع ان تدرّس الاولاد ام لا! حضر للمراقبة. انه عمل كريه. المراقبة عمل مربك يجعل المعلمة القديرة الخبيرة تعمل بعصبية ونرفزة. ولكن ليس باليد حيلة وعليها ان تكمل عملها كما امرها. وهكذا! اكملت ترينا شرح الدرس ووجدت لدهشتها ان وجوده زاد من نشاطها وحماسها واعطى نتائج حسنة عوضاً عن ان يربكها ويشلّ حركتها. اما جولي وورود فكانا طالبين مثاليين في الطاعة والذكاء، ومتيقظين ومتفهمين

للوضع. لم يطرحا اسئلة عديدة مما يوحي الى السامع انهما لا يفهمان ما تقوله لهما. بل على العكس كانت اسئلتهما ضرورية ومعقولة مما يؤكد حسن شرحها ووضوح تعابيرها. كانت ترينا تجيبهم ببساطة وترفض كلياً ان يكون وجود اندرو معهم موضع ارباك او ازعاج. طلبت ترينا من جولي ان تحل لها مسألة على اللوح. مشت جولي الى اللوح وبكثير من الثقة بالنفس وصفاء الذهن حلتها بدون اي غلطة. ثم طلبت من رود ايضاً ان يفعل الشيء نفسه وانتهى بحل المسألة بدون اي خطأ. فرحت ترينا كثيرا بنباهتهما وتمنت لو تعانقهما. تصرفاتهما كانت مثالية.

قالت جولي وهي تعبس بمكر:

«لما لا تسألين اندرو سؤالاً؟».

رغبت ترينا في توبيخها لاستعمالها اسم اندرو بدون ألقاب ولكنها تجاهلت الامر. ستوبخها على ذلك بعد الدرس وعلى انفراد.

قالت ترينا:

«لا اعتقد. الاّ اذا رغب هو في ذلك».

كانت ترجو ان تهمل هذا الموضوع ولكنها رات في عيني اندرو بعض التحدي. كأنه يعتقد ان معلوماتها لا تؤهلها ان توجه اليه سؤالاً في مستواه. أحست احساساً غريباً في ان ترد له تحديه. مشت ترينا الى اللوح وبسرعة فائقة كتبت معادلة مركبة من الاحرف والارقام. ملأت اللوح كتابة وشعرت كأنها تتباهى بمعلوماتها أمامه. وقد خجلت من نفسها لهذا التصرف. لانه لمس اليد مقدرتها في تعليم الاولاد. نظرت ترينا الى اندرو وشعرت شعوراً غريباً لا تفسير له حين رفع يده الى الندبة في وجهه. بدا كأنه تلميذ خجول وقد تراجع الى قوقعته وكذلك تراجعت يده الى مكانها.

لماذا فعل ذلك؟ انه انسان وحيد. انه ليس قاسياً ولا سيء الاخلاق. لكنه لا ينسى لحظة واحدة وجود الندبة فوق خده. . . تساءلت في نفسها: من المسؤول عن احساسه بوجودها كل الوقت. يشعر ان الندبة قد جعلته مسخاً ولا احد يستطيع ان يحتمل منظره. من اجل ذلك يبتعد اندرو عن الناس ولا يتقرب من احد. لقد انكفأ خلف حاجز بارد مترفع ولا يرغب في صداقة أحد او التعامل مع احد.

تعجبت ترينا من نفسها حين وجدت نفسها تبتسم له كأنها تمنحه الثقة بالنفس. صوب اليها اندرو سهام عينيه السوداوين، وحدّق بها ثم انسحب فجأة من الغرفة بدون ان يتكلم معها ولا كلمة.

تنهدت جولي مرتاحة وقالت:

«اوه. الحمد لله لقد انتهى بقاؤه معنا».

كانت ترينا لا تزال في غيبوبة افكارها. طلبت منهما ان يكملا تمارينهما. بدأت تتساءل: لماذا ابتسمت له؟ ابتسامتها لا تعني أنها تحبه. نظراته الصبيانية الغريبة العابسة لامست قلبها بطريقة عجيبة لم تألفها.

كان يمكن لترينا ان تتناسى كل ما حصل وتترك لمخيلتها تفسيره. ولكن في وقت آخر من النهار نفسه وجدت اندرو واقفاً وحده في القاعة الكبرى وينظر نظرته الغريبة تلك. كانت ترينا تراقبه من الشرفة المطلة على القاعة بدون ان يشعر بوجودها. لا بد وانه يكره ان تراقبه لو أحس بها. كان وجهه الاسمر العابس يملاه الشعور بالوحدة. مرّ بيده من جديد فوق الندبة على خده الايمن. قطب حاجبيه وقد علت وجهه تعابير الكبرياء والانفة. انه لا يتحمّل العطف من أي انسان. نظر الى وجهه في المرآة الكبيرة وحملق من جديد في صفحة وجهه اليمنى حيث الندبة يعيد النظر اليها من جديد. لامست يده مكانها للمرة الثانية وعلت وجهه ابتسامة ساخرة فوق شفتيه ثم هزّ كتفيه باحتقار وازدراء ومشى الى مكتبه.

بقيت ترينا مكانها في الشرفة تفكر بما شاهدته من تصرفات اندرو في القاعة. نظرة رجل عادي الى المرآة ربما تعني انه يتفقد وسامته ولكن ليس اندرو دلوين! حتماً هو لم يفكر بوسامته بقدر ما كان يشعر بالبشاعة التي خلفتها الندبة في سحنته. انها تراهن انه لم يلحظ اي وسامة عكستها المرآة. كل اهتمامه كان ينحصر في الندبة. المرارة الساخرة والاحتقار لنفسه وتعابير وجهه المؤلمة كلها تشير الى الالم الذي خلفته ابتسامتها في نفسه.

هزّت رأسها مبتسمة برقة. لا بد وان احداً ما مسؤول عن شعوره الكئيب. ربما كان اندرو يحب امرأة. وبعد الحادث الذي ترك اثره على خده الايمن بشكل واضح. . . جعلته يرى نفسه كشخص بغيض لا يطاق. انها امرأة مجنونة. اذا كانت هذه المرأة تصرّفت هذا التصرف فهي حتماً لا تحبه بصدق. حتى لو ان الندبة قد مسخت شكله فان كانت تحبه حقاً فهي لن

تهتم بشكله الخارجي بقدر اهتمامها بروحه وسلامته. والاغرب من كل ذلك ان الندبة لا تشوّه جمال وجهه. ان لم تكن المرآة هي المسؤولة عن احساسه فمن الواضح ان شيئاً ما اعطاه فكرة ان منظره كريه وبغيض، هو الذي جعله يتراجع خلف هذا القناع القاسي. لا عجب انه يكره كل النساء فهو مقتنع ان اهتمام اي فتاة به يعود لاهتمامها بأمواله وليس بشخصيته. وضع أندرو مؤسف. هزت ترينا رأسها حزناً ودخلت غرفتها. انه يخسر الكثير من مباهج الحياة. بدأت ترينا تجد له العذر اذا كانت طريقته في المحادثة تزعجها. فهي متأكدة بأنها لا تحبه ولكنها مستعدة الآن لبعض التنازلات كعادتها عندما تشعر بأنها في خطر هي قادرة على قبول الاعذار حتى من الشخص الذي تبغض.

كانت ترينا قد قطعت الأمل في أن يدعوها اندرو لمشاركته عشاءه حين سمعت قرعاً خفيفاً على بابها. دخلت الخادمة مارغريت وأبلغتها الدعوة للعشاء مع اندرو في غرفة الطعام هذا المساء وبأن عليها ان تقابله قبل العشاء في غرفة الجلوس. لم تنس الخادمة ان ترفق باسمه الالقاب المناسبة ولكن ترينا وجدت نفسها تفكر فيه بدون ألقابه. عليها ان تحترز من استعمال اسمه بدون ألقاب في حضرته هذا المساء. يمكنها ان تتصوّر الثلج يذوب لو نادته باسمه المجرّد من القابه الرسمية.

شكرت ترينا الخادمة وسألتها:

«هل يلبس السيد دلوين ثياباً رسمية للعشاء؟».

اكدت لها مارغريت ذلك. شكرتها ترينا مرة ثانية وبعد ان خرجت فتحت خزانة ملابسها لتنتقي ثوباً مناسباً من بين ثيابها. معظم ثيابها، قطنية او كتانية، لم تكن ترينا تتوقع ان ترافق الجنس الآخر هنا في براكيه. يوجد بين ثيابها ثوب حريري يفي بالغرض. مصنوع من القوال الاحمر اللاهب، مفتوح الصدر ومحلى بأزرار لامعة من الماس الاصطناعي.

بدّلت ترينا ثيابها ورتبت شعرها الاسود اللامع وعقصته فوق رأسها كعادتها. راقبت شكلها في المرآة. تمنت لو كانت قامتها أطول مما عليها قليلاً. انها تشبه جدتها برصانتها ولياقتها. نزلت السلالم وقرعت باب غرفة الجلوس، انها غرفة واسعة تمتد على طول المنزل من الجهة الامامية. سمعت امراً بالدخول بلهجة قاسية خشنة. دخلت وهي ترتجف. حتى

الساعة لم يخبرها اندرو بقراره بعد. حتماً ليس لديه انباء حزينة والّا لارسل لها رسالة مع الخادمة كي توضب حقائبها وتستعد للرحيل...

كان اندرو يقف امام طاولة الشراب.

«مساء الخير يا سيد دلوين».

قالت بتهذيب رفيع كأنها لم تتبادل واياه قارص الكلام في صباح ذلك اليوم.

«قالت لي مارغريت انك ترغب في رؤيتي».

كانت تحاول ان تبدو جادة كأنها في اجتماع عمل حتى لا يبني امالاً خداعة لأنها قبلت دعوته للعشاء.

«هل هذا الاجتماع بشأن بقائي او رحيلي؟».

«بالطبع».

تعجبت ترينا. لم تفهم من جوابه ماذا يعني. ما الذي يدور خلف قناعه الاسود؟ كانت عيناه تحدقان في فستانها الاحمر. هل قرّر ان لونه فاقع؟ هل يعتقد انه زين بطريقة تنم عن ذوق سقيم. شكلها حتماً يختلف عن شكل معلمة مدرسة محافظة. عليها ان تغادر براكيه بدون تأخير!

قال اندرو مخترقاً افكارها بصوته الاجش:

«أرجوك اجلسي هل تشربين عصير الليمون؟».

«شكراً».

شكرته بهدوء تناولت كأسها الزجاجي وتشاغلت بالنظر الى لون الشراب بداخله كانت تنتظر قراره بفارغ الصبر. عبس اندرو قليلاً وظنت ان النتيجة مؤسفة وليست لصالحها:

«هل قررت ان علي ان ارحل؟».

رد بلهجة عادية خالية من الانفعال:

«لا بما انك تستطيعين القيام بعملك الذي حضرت من اجله فانا لا ارى سبباً لترحلي».

انه شهم. شعرت بسرور يغمرها. شكرته واكدت له انها تشعر بالثقة من قدرتها في ايصال اولاد كامبل الاربعة الى المستوى المطلوب. ماذا عليها ان تخبره، انه شديد الحساسية. كان يتعمد ان يخفي عن المتكلم معه، جانب وجهه الايمن حيث تقع الندبة. ويحاول ان يخفيها قدر الامكان. لا

يمكنها ان تبحث معه في امكانية جراحة تجميل لوجهه الآن.

كانت ترينا تحس بشعوره ورهافة حسّه على عكس شعورها نحوه هذا الصباح. هي لا تستطيع ان تنسى وضعه في القاعة امام المرآة والمرارة التي ارتسمت على وجهه وهو يحدّق في الندبة ويلمسها بيده مرة تلو المرة. انها لا تزال تكرهه ولكنها تشعر بالحزن لوضعه وتتفهّم اسباب حساسيته.

حضرت السيدة جاميسون واعلنت ان العشاء جاهز وبذلك انقذت الحديث الصامت بينهما. دخلا غرفة الطعام المجاورة وهي ليست الغرفة الزرقاء كما اعتقدت ترينا بل غرفة اصغر منها. اضواؤها خافتة وستائرها مخملية داكنة الالوان.

تظاهرت ترينا بتفحص الغرفة وموجوداتها ثم اكتشفت ان رفيقها يراقبها عن كثب ولكن تعابير وجهه باردة كالعادة. استدار اندرو فجأة وعن قصد وجعل الندبة في مواجهتها. نظرت ترينا الى وجهه وقالت:

«كيف حصل لك ذلك؟».

سألته وتمنت لو انها لم تفعل. تسمر اندرو لحظة واعتقدت بأنه لن يجيب عن سؤالها.

قال باقتضاب:

«حادث سيارة».

«والديّ توفيا في حادث سيارة».

«احياناً الموت يكون أفضل».

«هل هذا ما تعتقد؟».

بقي لحظة يفكر بألم ومرارة كما كان حاله في القاعة امام المرآة. سألها:

«وهل كنت تتمنين ان يبقيا على قيد الحياة... مشوهين؟».

قالت بلهجة اكيدة:

«بالطبع».

اخبرته عن حزنها وألمها لفقدانهما. لم يبد عليه التأثر أو الحزن. ربما كان شعوره خفياً ولا يظهر للعيان.

«اذا كنت تحب شخصاً حباً حقيقياً كل ما يهمك ان يبقى على قيد الحياة. ولا تهتم لجراحه الخارجية».

ابتسم اندرو ساخراً. انه لا يعرف كيف يبتسم. لقد اختلف شكله.

انها اول مرة يبتسم فيها. فهي ابتسامة مواربة ومع ذلك اضفت الكثير من التعابير الغريبة على شكله وعلى عينيه السوداوين.

لم تنتظر منه ان يعلّق بأي شيء حول موضوع الحب مع انه كان يبدو على وشك الكلام وغيّر رأيه اخيراً. الدقائق التالية كان الحديث يدور فيها حول اشياء تافهة ثم انتقل الى الحديث عن طعم الشوربة اللذيذ التي كانا يتناولانها.

كل شيء في الغرفة حميم ودافىء ولكن الرجل الذي يشاركها عشاءها كان بارداً جداً. لو كان دنيس هو الذي يشاركها العشاء ويجلس امامها... ولكن ترينا صرفت هذه الفكرة من عقلها على الفور. عادت تحدّق من جديد في شكل اندرو ومفارقات الطبيعة الواضحة في هيئته، شعره البلاتيني الذي يحيط بوجهه الاسمر وعينيه السوداوين. تذكرت هيئة دنيس كان شعره اسود يحيط ببشرته البيضاء وعينيه الزرقاوين. شكل عادي لا طعم له ولا نكهة او امتياز. لاحظت ترينا انها تقارن بين الرجلين بدون سبب واضح. ابتسمت ابتسامة ساخرة. انها تشعر بحلّ من تأثير دنيس عليها. انها لا تضلّل نفسها ابداً بل هي الحقيقة. ربما اللغز أمامها والشخص الغامض اندرو هو الذي ابعد تفكيرها عن دنيس. ولكن ذلك لا يعني انها واثقة بأنها لن تنجذب الى دنيس حين تلتقيه من جديد بعد عودتها الى سيدني. ان ترينا تنتظر ان يساعدها بقاؤها في براكيه على تركيز افكارها بشكل واضح لترى حقيقة الامور في علاقتها مع دنيس.

خيم صمت بينهما. نظر اليها اندرو. كانت تحدق فيه دون ان تستطيع ان تتكهن بما يدور في خلده، تعابير وجهه غامضة، لا يمكنها ان تتخطى الحواجز التي بناها حول نفسه.

سأل اندرو بلهجة جدية كأنه يطلب تقريراً مفصلاً من احد امناء مجلس الادارة في شركته:

«كيف تسير دراسة الاولاد؟».

حاولت ترينا ان تخفي ضحكة طائشة لأنها خافت ان يسيء فهمها. تعجبت ما هو نوع عمله؟ ما الذي يشغله الاسبوع كله. كانت تتخيّل سكرتيرته امرأة عانساً متقدمة في السن ومتزمتة وتضع نظارات طبية فوق عينيها. كان اندرو ينتظر جوابها.

«وانهم يجتهدون. اعتقد انهم تصنّعوا التخلّف اكثر مما هم متخلفون فعلياً. جولي ورود يمتازان بروح قيادية والصغيرتان تقلدانها وتتبعان خطواتها بانتظام. بدأوا يعملون بجد ونشاط بعد ان ذكرت لهم امكانية تصنيفهم في المؤخرة بين رفاقهم في الصف. هناك احترام واعتبار للمتفوقين من الطلاب في مدرستهم السابقة وهم لا يرغبون في الذهاب الى مدرسة جديدة حيث لا إصدقاء لهم ولا احد يعرفهم».

سألها:

«هل تجدين صعوبة معهم؟».

«انهم يعتبرونني معلمة فريدة وغير مألوفة». ثم اضافت قائلة عن عمد. «ربما لأنني لست معلمة رسمية ومحترفة».

كلامها كان حافزاً للمزيد من الصدام الكلامي بينهما. ضاقت عينا أندرو السوداوان ولكنها نظرت اليه بجرأة. سألها بجد:

«فقط أسألك من باب التسلية... ما الذي جعلك تحضّرين لشهادة جامعية ولا تستفيدين من تحصيلك العلمي؟».

حتى لو سألها من باب الاهتمام فان نبرته كانت تؤكد عدم اهتمامه... الموضوع المقترح ينفع للحديث فوق طاولة العشاء. لقد سأل عن الاولاد ودراستهم والآن فتح موضوع دراستها. وجدت ترينا نفسها تخبره عن بيتها القديم... الموضوع شيق بالنسبة اليها ولذكرياتها ولكنها ولا شك قد اضجرته.

«انا لم أهتم ابداً بهذا الاختصاص». اعترفت بصراحة. «ولكنني عشت مع جدّي بروفسور علوم وجدتي بروفسورة لغة وأدب... وكان من الطبيعي ان يكون المنزل ملتقى نخبة من المتعلمين والمثقفين. وكان من المحتم عليّ ان اكمل دراستي الجامعية».

توقفت ترينا لحظة تحدّق فيه. كانت تعابيره لا تزال غامضة. ثم اكملت حديثها:

«وربما شهادتي الجامعية الضمان للمستقبل المجهول. لم اقصد أن أعمل بعد تخرجي لانني كنت اهتم للباليه منذ البداية... منذ كنت طفلة صغيرة». ثم اضافت: «هل تذكر رقصة الحرب الهندية التي شاهدتها حين دخلت غرفة التسلية؟ هذه الرقصة لا تقارن برقص الباليه الكلاسيكي

الذي امارسه».

كان تفكير اندرو في شيء آخر. وبعد قليل قاطعها قائلاً:

«ما الذي كتبته على اللوح هذا الصباح؟».

كان بادي الانزعاج. وجدته ترينا ينظر اليها نظرة غريبة متفحصة. كأنه يعرف ماذا كتبت ولكنه ليس متأكداً. او كأنه يتعجب، كيف تستطيع ان تحفظ هذه المعادلة الصعبة؟

قالت ببرود:

«هي مقطع من معادلة اينشتين في نظرية النسبية».

هز اندرو رأسه موافقاً ولكنه لا يزال محتاراً. قال ببطء:

«واعتقدت انها كذلك».

اعترفت له ترينا:

«وأنا نفسي لا أفهمها جيداً».

انها تكره ان تخدعه وتكره ان يوصمها أحد بالخداع الا اذا كان الامر لا بد منه في مسألة حياة او موت. ثم اكملت:

«بعض الرفاق أرادوا ان يوهموا البروفسور بمعرفتهم لهذه النظرية... قمنا سوية بحفظ بعض اجزاء المعادلة من النظرية غيباً».

قال اندرو باقتضاب:

«افهم».

ربما لو ابدى لها بعض الاهتمام لشرعت ترينا تغمز له برموشها! تنهدت قليلاً ثم قالت:

«حاول جدي دائماً ان يفهمني. وقد رضخ أخيراً لرغباتي. لقد أصر على الدرجة الجامعية قبل احترافي رقص الباليه». تابعت حديثها وهي تضحك كأنها نسيت لمن تتحدث. «والدرجة الجامعية تناسب قدراتي ودرجة ذكائي باعتقاده».

قالت جملتها وتمنت ان لا يعتقد اندرو انها تنتظر منه المديح. انها تتكلم الحقائق عن نفسها.

ران صمت رهيب بينهما. كانت ترينا تدير دفة الحديث على هواها بينما اندرو يشاركها بكلمات مقتضبة. كانت فرحتها كبيرة حين انتهى العشاء اخيراً وذهبت تحتمي بغرفتها.

كان رود وجولي في القاعة حين دخلت ترينا. رود يحمل تحت ابطه جروه الاسود والابيض وهو ينظر حوله نظرة عابثة. وكفّ الولدان اليها حين دخلت يستطلعان نتائج اجتماعها مع اندرو. تحرك الجرو تحت ابط اندرو كأنه يريد ان ينضم الى المجموعة.

سألها رود:

«كيف كانت نتيجة الاجتماع؟».

سألتها جولي:

«هل التهمك؟».

كانت تعرف انه دعاها للعشاء معه بعد الاجتماع. وتعتقد ان اندرو يملك قدرة الحيوانات آكلة اللحوم. وربما يتوجب على ترينا ان تقدم نفسها بدل الصحن الرئيسي في قائمة العشاء. ثم اضافت وهي تكشر بوجه ترينا لأنها كانت تعتقد ان هذه الفكرة قد وردت في ذهنها ايضاً:

«انني اتكلم بالمعنى المجازي».

اجابتهم بجلال وبساطة:

«سأبقى».

كان على ترينا ان تهدىء من صراخهما وصياحهما لشدّة فرحتهما. وقد شاركهما الجرو فرحتهما وشرع ينبح ايضاً.

«اصعدا الى غرفة التسلية اذا رغبتما بهذا الضجيج». ثم اضافت بجدية وهي عابسة:

«هي تفي بالمطلوب».

قالت جولي وهي تضحك بملء جوارحها:

«نعم يا معلمتي».

ثم مشت على رؤوس اصابعها الى السلالم وهي تصنع الهدوء وتفتعل السكون وكذلك فعل رود وهو لا يزال يتأبط الجرو تحت ابطه. ولسوء الحظ كان انتباه رود الى شقيقته التوأم وما تفعله اكثر من انتباهه الى السلالم واذا به يتعثر على الدرجة الاولى من السلالم وينكفىء على وجهه ويسقط الجرو من تحت ابطه بعد ان اختل توازنه. ظن الجرو انها لعبة يلعبها مع رود. فركض حول الجميع مسروراً وهو ينبح بأعلى صوته.

«من هو هذا الشيطان؟».

ثم خرج من الغرفة بادي الانزعاج ليرى اسباب هذه الضجة.

رأى اندرو الآنسة ترينا مريتون التي كانت تجالسه منذ دقائق في منتهى الرصانة والهدوء، تقفز فوق السلالم بأسرع ما تستطيع برافقها جولي ورود وهما يضحكان بصوت مرتفع ويركض بينهما الجرو متحمساً وهو ينبح بأعلى ما تستطيع رئتيه الصغيرتين.

حين وصل التوأم الى غرفة التسلية تهاويا على اقرب كرسيين وهما يضحكان كأن نوبة قد اصابتهما. حاولت ترينا ان تبدو صارمة ولكنها وجدت انه من الصعب عليها ان تعترض على تصرفاتهما وهما على هذه الحالة من الضحك الهستيري. فشاركتهما الضحك بينما الجرو يدور حولهم فرحاً.

«تعال الى هنا ايها المخلوق الصغير!».

صرخت ترينا وهي تمسك بالجرو وترفعه عن الارض. واصل الجرو نباحه وهو يحاول ان يمسح وجهها بلسانه.

هدأت عاصفة الضحك بعد لحظات. هدأ التوأم وعاد الجرو يقبع تحت ابط رود من جديد. قالت ترينا:

«لنكن اكثر جدية، علينا ان نكون اكثر انتباهاً بعد اليوم لو ان عمكما يرغب في العزلة والهدوء، علينا ان نوفر له هذا الجو. فهذا البيت بيته».

«اعرف ذلك».

قالت جولي بنزق وقد غابت الابتسامة عن وجهها. وودّت ترينا لو انها لم تتكلّم معها على هذا النحو. كانت الفتاة تشعر بعدم الامان، لماذا تذكرهم ترينا بأنهم في بيت ليس بيتهم. شعورهم بالغربة يزداد يوماً بعد يوم. ويعلمون بأنهم سيرسلون الى مدرسة داخلية في أقرب وقت، المستقبل غامض بالنسبة اليهم وها هي ترينا تذكرهم بواقعهم.

وضعت ترينا يدها بلطف فوق كتف جولي مواسية ولم ترفض جولي حنوها.

«أنا آسفة يا جولي. هذا منزلك ايضاً الآن».

رفضت جولي قولها بجدية الراشدين وقالت:

«لا. انه ليس كذلك انه ليس بيتنا لاننا غير مرغوب بنا هنا».

هز رود رأسه موافقاً على قول شقيقته. انه كمن يقبل هذا الوضع

كارها. قال رود:

«بالحقيقة انه ليس عمنا ولا يمت الينا بصلة القرابة».

قالت جولي بدون اي اكتراث:

«ربما كان والدي مترنحاً عندما كتب وصيته».

«ربما كان والدك في كامل قواه العقلية ووعيه عندما كتب وصيته وربما تحقق انه بهذه الوصية انما يؤمن لكم المنزل الجيد والبيت الافضل مع اندرو».

«هيه. . . » ضحكت جولي بتهكم وقالت: «انا واثقة بانه لم ير الرمز زيوس مؤخراً».

«وهل كان يختلف؟».

«لم نره قبل الحادث. . . ولكن والدي كان يتكلم عنه احياناً ولم يكن سيء الطباع».

قال رود وهو يتكلم كأنه فرد من عصابة اميركية:

«ربما هي الآنسة لانجلي التي تسببت بذلك بعد ان رمته ارضاً».

حذرته ترينا بلطف وطلبت منه ان لا يستعمل هذه التعابير الغريبة. نظر رود اليها مستغرباً وقال:

«هذا ما قاله بنز».

قالت ترينا بصرامة وقساوة:

«انت لست بنز».

بنز هو مراهق من دلثروب يحضر احياناً الى براكيه ليقوم ببعض الاعمال او ليساعد في اعمال الحديقة. عبست ترينا وتعجبت كيف وصلت هذه القصة الى سمع الاولاد؟ ربما بطريق الصدفة لانه من غير المعقول ان يبحث بنز مع الاولاد خصوصيات اندرو.

لقد تأكدت نظريتها. ان الآنسة لانجلي هي المسؤولة عن حالة اندرو النفسية وحساسيته من الندبة فوق خده الأيمن. بدأت الحقيقة تتوضح لها كل دقيقة. لقد رفضت الآنسة لانجلي حبه. وهذا يعني انها بالنسبة اليه اكثر من صديقة، ربما تكون خطيبته، وقد رفضت حبه بعد الحادث. . .

هذا يفسر كل شيء. من يستطيع ان يبدّل احساس رجل طبيعي ليصبح حساساً ورافضاً بعد ان تشوه وجهه قليلاً سوى رفض الفتاة التي كان

يحبها. في مثل تلك الاحوال تكون الآنسة لانجلي لا تحبه. . . لان المرأة لا تستطيع ان تحطم الرجل الذي تحبه كما فعلت الآنسة لانجلي مع اندرو. انها مجنونة بل قاسية الفؤاد وصلبة. كانت جولي تراقب ترينا بعينيها الزرقاوين الراشدتين عن كثب:

«تعتقدين انه اصبح على هذا الشكل بسببها؟».

سألت وهي تفكر بما قال رود. التفتت ترينا الى جولي بسرعة.

«ربما هو كذلك». قالت بلطف: «الراشدون اشخاص مضحكون يا جولي. عندما يجرحون يختبئون خلف حاجز وهم يعتقدون بأنهم يحمون انفسهم بذلك لن يجرحوا مرة ثانية».

سألها رود:

«وهل يجب ان يصبحوا قساة ووقحين؟».

«دعونا ننظر الى المشكلة من زاوية اخرى. لنفترض ان احداً جرحك يا رود. ماذا ستفعل؟».

«سأقول له ليذهب الى الجحيم. . .».

«رود!».

كانت ترينا تؤنبه على استعمال تعابير منافية للياقة. كشر رود من جديد ولم يأبه لانذارها بل اكمل:

«عليه ان يذهب الى هناك على كل حال».

سألته:

«الم تكن قاسياً ووقحاً؟».

«نعم. اعتقد ذلك. ولكنني انسى الامر بسرعة ولا أبقى فترة طويلة في حالة الغضب والثورة مثله».

قالت جولي بحكمة:

«نعم لاننا نعيش مع والد يحمينا ممن يجرحوننا ولكننا لن نستطيع ان نستعمل هذه الطريقة مع أندرو؟».

سألتها ترينا باهتمام:

«أية طريقة؟».

«كان والدي احياناً يشد شعرنا واحياناً يقبلنا واذا اخطأنا ربما كان يكسر رؤوسنا. والدي لا يكون سيئاً حين يكون واعياً بالرغم من كونه مدمناً.

أخبرنا الطبيب ان علينا مساعدته كي يتخلص من هذا المرض. علينا ان نتسامح معه بسبب مرضه».

وافقت ترينا بسرها على اقوال جولي. طبعاً هذه الطريقة لا تنفع اندرو، فهو يحتاج للعطف والحنان والمرأة التي تعيد اليه الثقة بنفسه بحبها له. قالت:

«ربما تتسامحون ايضاً مع اندرو وتتحمّلون قساوته وصلابته لأنه ايضاً مريض».

قال رود:

«ولكنه لا يشرب... او على الاقل لم نلحظ عليه ذلك».

وافقت ترينا بجدية:

«نعم انه يختلف كثيراً عن والدكم في نوع مرضه. عليكم ان تتسامحوا معه بطريقة اخرى. اندرو لم يحتد وجود اطفال حوله في المنزل».

«اظن ذلك». وافقت جولي ببطء ثم بدأت تثور فجأة: «ولكنه لا يريدنا هنا يا ترينا. شعرنا بذلك أنا واخوتي منذ أول لحظة لنا في هذا البيت... حتى ليت وغابل تعرفان هذه الحقيقة. كان على والدي ان لا يضعه وصياً علينا. كنا نفضل لو ندخل احد المياتم!».

اعترضت ترينا غاضبة وقالت:

«جولي!».

«انا اعتقد ان الميتم أفضل لنا من وجودنا في بيت غير مرغوب فينا».

اصرت جولي على قولها «انه لا يريدنا معه. بل يقوم بواجب فرض عليه».

ثم اكملت بسرعة وحدّة وهي غير راضية وقد نفد صبرها «اوه. انا اعلم انه يجب علينا ان نكون شاكرين فضله، لقد صرف علينا الاموال الطائلة للآن. نحن شاكرين فضله حقيقة. ومع ذلك نشعر بأننا نفسد عليه عزلته ونشكل عبئاً ثقيلاً على كاهله. عندما كنا نعيش مع والدي كان الامر يختلف. لقد أجمع الجميع على انه لم يكن اباً صالحاً ومع ذلك كان يحبنا كثيراً... وحاول جهده ان يكون اباً صالحاً لنا. اندرو يفعل ما يتوجب عليه وليس ما يريد ان يفعله. ربما يتمنى لنا الهلاك ليتخلص منا».

اعترضت ترينا مرة ثانية:

«جولي!».

كانت تؤنبها بلطف فمن الصعب ان تؤنب شخصاً يتكلم الصدق. ولكنها لا تستطيع ان تدين اندرو لقساوته في معاملتهم، غريزتها تخبرها انه كان رجلاً مختلفاً قبل الحادث المشؤوم الذي غيّر طباعه ومجرى حياته ليجعلها درب عذاب ومرارة. انه يختبىء خلف قناع قاتم. تبناه واظهره للعالم الخارجي حوله. وتحت هذا القناع يقبع رجل حساس، سريع التأثر عرضة للانهيار. رجل جرح جرحاً عميقاً ولا يزال يقاسي من النزف الذي ترك ندبة كبيرة في نفسيته اكبر بكثير من الندبة الظاهرة على خده الايمن. الندبة الكبيرة تسكن في عقله ولا يمكن شفاؤها. جراحه الداخلية خفية ولا تزول، يجب ان تطفو الى السطح حيث يضمدها الحب والحنان وهو لن يسمع لأي شخص بالاقتراب منه... ستبقى هذه الندبات الداخلية على حالها مرّة تتآكل في داخله وتسمّم حياته.

ان حياة اندرو ليست من شأنها. سترحل ترينا عن براكيه بعد شهر. رحيلها لن يمنعها من التفكير به. ستظل تفكر به طويلاً وتتساءل اذا كان قد وجد السعادة اخيراً.

وصلت ترينا الى هنا في تفكيرها. لتترك هذا الموضوع يرتاح قليلاً. جلست وكتبت رسالة طويلة الى صديقتها ماردا تخبرها كل شيء عن براكيه والاولاد الاربعة الذين تدرّسهم... ربع الرسالة يدور حول الاولاد والبقية حول اندرو رب البيت. لم تتوقف عن التفكير به وبمشكلته. لقد نجح اندرو في ان يجعلها تنسى دنيس وتخرجه من تفكيرها.

٣- بينها الآن ابتسامة!

الجمعة كان اليوم التالي وعملت ترينا مع الاولاد دروساً مختلفة وتمارين أساسية. جعلت ترينا السبت والاحد يومي عطلة مدرسية. حجتها انهم يتقدمون بسرعة والمدارس الرسمية عادة لا تشمل يومي السبت والاحد. انتظرت من اندرو ان يعارض ولكنه لم يفعل ولم يعلّق بأي تعليق مع انها استعدّت له ببعض الاسباب الموجبة والعقلانية في حال محاولة الجدال معها. لم تره يوم الخميس. ربما تناول العشاء عند عمته جيرالدين. لقد عفاها من جلسة مملة معه، كالليلة السابقة، حيث بقيت متوترة الاعصاب. من المحتمل ان يدعوها من جديد هذا المساء للعشاء معه. هذا الاحتمال المرتقب سبّب لها بعض السرور والذعر. لو تستطيع ان تبقى هادئة الاعصاب برفقته، انها تعتقد انه رجل لطيف لو ترك نفسه على سجيتها ولم يتحفظ أو يخفيها وراء قناع مزيف من القساوة والعزلة. وانه شخص مختلف مع اصدقائه الرجال ومعارفه في العمل. كانت ترينا واثقة بأنه يوماً ما سينزع قناعه المقطب الاسود عن وجهه المشوّه وهي برفقته.

بعد ان تناولت ترينا فطورها صباح السبت عادت الى غرفتها بدون ان تحدّد برنامجها لهذا اليوم. فلا يدخل في نطاق عملها مراقبة الاولاد خارج فترة تدريسهم او الاهتمام بهم. كانت ترينا تبقى برفقة الاولاد معظم الاوقات بعد دوام ساعات الدراسة. تشاركهم العابهم حتى يحين موعد نوم الصغيرتين لينت وغايل. وبعد ذهاب الصغيرتان الى فراشها كان رود وجولي يطالعان بعض القصص او يثرثران معها ويمطرانها بالاسئلة الخاصة والغريبة التي يسر الاولاد طرحها بدون ان يفطنوا انها اسئلة شخصية. رود

وجولي لديهما هوايات مفضلة من صرعات الزمن الحاضر. رود مغرم بالاقمار الصناعية التي تطلقها الدول الى الفضاء وهي تتسابق فيما بينها. جولي تنمّي هوايات متعددة احداها لعبة الشطرنج. لقد أخبرتها ترينا انها تجيد هذه اللعبة الذكية التي كانت تلعبها مع جدها البروفسور مريتون ووعدتها بتعليمها اياها قريباً حين تتوفر لها مجموعة شطرنج للاستعمال.

نزلت ترينا السلالم ولمحت اندرو الشاب الطويل وهو يدخل غرفة مكتبه ويختفي في عزلته، المكان المحرّم دخوله على الجميع. ابتسمت ترينا لنفسها ثم أخذت الممر المؤدي الى خلفية المنزل والذي يفضي الى الحديقة. الاولاد يلعبون هناك منذ الصباح. لقد انذرتهم بأن لا يقتربوا بصراخهم من المنزل. خلف شجرة الليمون توجد فسحة واسعة يلعب ضمنها الاولاد ويعتبرونها جنتهم. تحيط بالفسحة أشجار طويلة وشجيرات علّيق تكسوها الازهار الملونة وفيها بركة ماء ساحرة تزنرها حجارة صغيرة يكسوها العشب الاخضر. انه ملعب الاولاد المفضل وهو بعيد عن المنزل ولا يصل صراخهم وضجيجهم الى اذني اندرو أبداً. اندرو يحتاج لأن ينزل الى الحديقة البرية، كما تدعى، ويلعب مع الاولاد في العابهم. لا شيء يوازي لعب الاولاد ومرحهم في كسر الجمود والقساوة في اخلاق الانسان. الاولاد لا يلاكمون ولا ينافقون كالكبار. واذا اختلفوا فهم صريحون ولا يخفون الحقيقة. صراحتهم واضحة وتعرف الحقيقة الخالصة عن طريقهم دون مواربة. ومن الصعب جداً خداع ولد والاصعب من ذلك ان يخدع الولد شخصاً راشداً.

وصلت ترينا الى الحديقة البرية. كان رود يرتدي قبعة غريبة الشكل مصنوعة من الورق الاسود. حيّاها بغضب وتقطيب وعرفها بنفسه: السير هنري مورغان وكانت جولي تضع فوق رأسها منديلاً منقطاً وتحمل سكيناً من الكرتون المقوى وعرفت بنفسها: السير فرنسيس دريك أرادت ترينا ان تصحّح لها معلوماتها التاريخية ولكن جولي قالت:

«نحن نعرف يا معلمتنا أنهما عاشا في فترات زمنية مختلفة».

«ولماذا اذن تتظاهران بعكس ذلك؟».

قالت جولي:

«لان شخصيتها اكثر أهمية من الشخصيات الاخرى».

قالت غايل وهي تشير الى لينت قربها:

«ونحن الاسرى».

كانت الصغيرتان تجلسان في مغطس قديم من التنك يعلوه التراب وهو يمثل دور السفينة الحربية الاسبانية الضخمة. والجرو يركض حولها بجنون وقد حشر أنفه ونشب اظافره بكل شيء حوله. كل شخص يستطيع ان يتخيّل دور الجرو كما يرغب.

رأت ترينا أنه من الحكمة ألاّ تسأل اذا كان السير هنري والسير فرنسيس حليفين او عدوين لئلا ترهق نفسها بتفسير عويص. عادت ترينا أدراجها الى المنزل وتركت الاولاد يلعبون ويمثلون الادوار التي يرغبونها. ربما تشاركهم لعبهم في وقت آخر. انها تشعر ببعض القلق في داخلها منذ الصباح ولا تدري له سبباً. قررت ان تذهب الى غرفة الدراسة وتقوم بتحضير بعض الدروس ليوم الاثنين. حين وصلت غرفة الدراسة غيّرت رأيها وقررت ان تزور قرية دلثروب وتجوب اسواقها.

قالت السيدة جاميسون:

«يستطيع ساندرز ان يوصلك الى القرية».

ولكن ترينا هزّت رأسها بأنها لا تريده ان يفعل بل تفضل المشي.

«ليس من الضروري ان يوصلني فانا لا احتاج لاي شيء. سأقوم بنزهة سيراً على الاقدام. ربما لا أصل الى القرية».

كانت ترينا تريد ان تضع رسالة ماردا التي كتبتها الليلة الماضية بالبريد.

ابتسمت ترينا للسيدة جاميسون وقالت:

«هل ترغبين في أي شيء ان وصلت للقرية؟».

«يمكنك ان تحضري بعض الزبيب... مع ان الطاهية تقول انه ليس طلباً ملحاً».

كانت السيدة جاميسون ممتلئة الجسم وتنفع ان تكون هي الطاهية اكثر من السيدة بيري النحيلة التي تشبه العصفور في حركتها. مرت السيدة جاميسون بيدها فوق ورقة موجودة في جيب ثوبها. كانت تتكلم بعصبية.

«هناك... هناك يا آنسة مريتون حفلة موسيقية ستقام قريباً في دلثروب».

ابتسمت لها ترينا قليلا ولم تدر ماذا تقول. اكملت السيدة جاميسون:

«نحن نأمل ان ترقصي في هذه الحفلة يا آنسة مريتون اذا كان ذلك لا يزعجك».

«احب ذلك كثيراً... ولكنني ارقص عادة ضمن مجموعة من الراقصات ولا اؤدي رقصة منفردة».

«الآنسة جولي أخبرتنا انك ترقصين بابداع».

«جولي لا يمكنها ان تحكم كثيراً في هذا الموضوع... ولكنه يسرني ان ارقص ضمن برنامج الحفلة اذا كنتم فعلاً تريدونني ان افعل».

تنهدت السيدة جاميسون كأن حملاً ثقيلاً قد ازيح عن كاهلها او كأنها انهت مهمة شاقة.

«كنت افضل ان انتظر قليلاً قبل ان افاتحك بهذا الامر ولكن الحفلة قريبة».

سألتها:

«ألم يرتب برنامج الحفلة بعد؟».

«كانت السيدة رنتون ستلعب مقطوعة موسيقية على الكمان ولكنها كسرت رسغها واعتذرت من لجنة الحفلة. انهم يفتشون عن بديل. سيسرهم قبولك ان تشاركي في البرنامج في رقصة باليه».

ابتسمت ترينا مسرورة واكدت من جديد للسيدة جاميسون سرورها وقبولها الاشتراك في الحفلة التي ستقام قريباً في دلثروب ثم مشت في طريقها.

أول قسم من رحلتها يستوجب صعود التلة لتصل الى الطريق العام. اليوم دافىء والشمس مشرقة، وصلت ترينا الى اعلى التلة حيث تلتقي الطريق الفرعية بالطريق العام. التفتت خلفها تنظر الى المنزل. كان كما رأته أول مرة. مشت ترينا فوق الطريق المعبدة وهي تحاول ان تتناسى اندرو. مشت حوالى النصف ساعة قبل ان تسمع محرك سيارة خلفها. مالت الى طرف الطريق لتفسح الطريق للسيارة القادمة وتنتظر ان تراها بعد لحظة وقد سبقتها. لكن السيارة توقفت قربها. كان اندرو يجلس على كرسي القيادة.

مال اندرو بداخل السيارة ليفتح لها الباب قربه في مقدمة السيارة.

«اخبرتني السيدة جاميسون انك خرجت قاصدة قرية دلثروب...

ادخلي!».

دخلت السيارة بدون جدال. قدمت له الطاعة. كانت تراقب وجهه الاسمر الغامض. شعرت بخيط رفيع من الاحتقار في تعابير وجهه، صعقت لأول وهلة واذا بالالهام الغريب يفسر لها تصرفه. ربما يعتقد بأنها تحركت مشياً باتجاه دلثروب لانها كانت تعرف انه ذاهب هناك وكانت ترجو ان يحملها بطريقه. ربما هذا كان اعتقاده الراسخ لانها رفضت ان يوصلها ساندرز، احست بانزعاجه ولكنها تناست الموضوع وهي تشفق عليه وعلى طريقة تفكيره... هل من المعقول ان يشك بتصرفاتها ويعتقد أنّ لديها دوافع خفية... انه يشك بكل شيء وبكل انسان.

بقي صامتاً خلف مقود السيارة. لم تجرؤ ان تتكلم معه لانها كانت ترتاب مما يدور في عقله. انها لا ترغب في الحديث معه كي لا تؤكد له تهافتها على رفقته.

رحلتها معه كانت غير مريحة. حين توقف اندرو في الشارع الوحيد في قرية دلثروب ونزلت من السيارة بعد ان شكرته شعرت براحة وسرور لابتعادها عنه. بعد ان ابتعدت سيارته السوداء الفاخرة نظرت ترينا حولها تفتش عن مركز البريد كي تضع رسالتها الى صديقتها ماردا.

شارع دلثروب الرئيسي يحتوي على محلات عديدة نسبة الى صغر حجم القرية. دخلت ترينا مركز البريد اولاً استقبلتها المسؤولة هناك، كانت امرأة بدينة تنظر اليها تتفحصها بفضول ظاهر. اعطتها ترينا الرسالة. نظرت المرأة البدينة بدون خجل لتقرأ عنوان المرسلة.

«انت من براكيه اليس كذلك؟».

«نعم».

«اعتقدت ذلك، اخبرتنا دورا ابنة السيدة كريستي عن شكلك بالتفصيل. وهي تعمل في براكيه».

كتمت ترينا ابتسامة خفيفة ولم تتضايق. الظاهر ان اوصافها قد عمّمت على جميع سكان قرية دلثروب. وجود شابة في براكيه يثير بالطبع اهتمام نساء القرية وتأملاتهن، فجميع سكان القرية يعلمون عزوف اندرو عن الجنس اللطيف في معاملاته. سألتها السيدة البدينة المسؤولة في مركز البريد:

«كيف تجدين العمل عنده؟».

«انه شديد الحذر ويراعي حقوق الآخرين».

لم تستعمل المرأة البدينة اسم اندرو في سؤالها وكذلك ترينا في جوابها. ولكنهما كانتا تعرفان انه المقصود في السؤال. كانت ترينا لا تريد الخوض في امور تتعلق برئيسها، فربما يكره ان يكون موضوع ثرثرة اهل القرية، ومهما تكن ملاحظاتها بريئة فسوف تحاك حولها الاقاويل وتنتشر في القرية الصغيرة. ان هذه القرية في استراليا تذكرها بقريتها دورمنستر في انكلترا. كانت ترينا شديدة الحذر في كلامها على عكس محدثتها.

«هل هو سريع الغضب ومتوحش كما قالت دورا».

ومع ان الوصف صحيح ومطابق جداً لأندرو الاّ ان ترينا لم تعلّق بشيء واكتفت بالابتسامة الخفيفة الباهتة وهي تحاول ان تتفوه بعبارة تقليدية حول الطقس قبل ان تخرج من مركز البريد. ولكن محدثتها سبقتها قائلة.

«لا تدعيه يزعجك كثيراً لم يكن على هذا الحال قبل الحادث. انها جنيفر لانجلي التي حولته الى ما هو عليه... صرخت مذعورة وركضت الى خارج الغرفة عندما شاهدت وجهه المشوه. هكذا قيل».

الظاهر ان اهل القرية لا يعرفون الكثير عما حصل. رفضت ترينا ان تسمح لنفسها بالانسياق مع الثرثرات والاقاويل مع انها كانت متشوقة لمعرفة حقيقة ما حصل. ليس عجيباً ان ينظر اندرو الى صورته المعكوسة في المرآة بكآبة ونكد وينظر لنفسه بمرارة واحتقار. انه يتذكر دائماً انّ المرأة التي احبها هي التي صرخت وركضت الى خارج الغرفة... بدلاً من ان تقبع قربه وتضع شفتيها فوق الندبة مواسية حتى ولو كان ذلك مناف للصحة العامة وأوامر الطبيب. اكملت المرأة:

«الندبة كانت اسوأ مما هي عليه الآن. بالطبع».

«هذا طبيعي بعد الحادث مباشرة».

وافقتها ترينا ومشت مسرعة الى الخارج. كانت واثقة بأنها اكتسبت شهرة بأنها متكبرة ولا تحب العشرة. هذا أفضل بكثير من ان تخوض في هذا الموضوع الحساس وهي واثقة بأن أقوالها ستحرّف وتنتشر ولا فرق ان كانت اقوالها بريئة ام لا. ستصل كلماتها الى سمع جيرالدين وربما الى اندرو نفسه. لن تسمح له أن يأخذ عليها مأخذاً جديداً. تركت ترينا مركز البريد

وتوجهت الى محل لبيع الاقمشة. اشترت قماشاً من الحرير المطرز. لاحظت سيدتين عجوزين شعرهما أبيض تنظران اليها باهتمام منذ دخلت المحل. كانتا تشتريان شرائط مخرمة للتخريج.

كانت الآنسة اليزابت مورغان تتمتم لشقيقتها مابيل وتؤكد لها:

«هي الشابة التي تعيش حالياً في براكيه. لقد قالت دورا ابنة السيدة كريستي انها راقصة باليه. تصوري».

لم تسمعها ترينا بوضوح ولكن كان بامكانها ان تتكهّن حديثها. كتمت ترينا ابتسامتها من جديد. لم تكن تعتقد انها ستجد في استراليا ما يذكرها بقريتها دورمنستر.

غادرت ترينا متجر الاقمشة ودخلت مقصف الشاي. سكان دلثروب يعرفون ندرة المواصلات وعدم انتظام المواعيد. ووجود هذا المقهى الصغير يؤمن للركاب استراحة هادئة. دخلت ترينا لترتاح قليلاً وتستعد لرحلة العودة مشياً على الاقدام. قرب المقهى من المتاجر ساعد على ازدهاره ونجاحه. كان في المقهى بعض الاشخاص يجلسون يثرثرون ويتناولون الشاي، ومنذ لحظة دخولها بلباقة الراقصة الرشيقة، وجدت ان انظار الجميع قد انصبّت عليها. تقدّمت منها خادمة المقهى البدينة لتظهر فضولها مثل الآخرين، سجلت طلب ترينا من الشاي والكعك ثم عادت تتسكع وهي تحمل لها فنجاناً وصحفة.

كان سؤالها المنتظر:

«انت الفتاة التي تعيش في براكيه؟».

هزت ترينا رأسها موافقة وقالت:

«نعم» ثم اكملت لتوفر عليها المزيد من الاسئلة «ولقد حضرت لأعلّم اولاد كامبل شهراً قبل بدء الفصل الدراسي».

«اوه... ستعودين بعد ذلك؟».

«نعم. انني راقصة باليه».

لم يكن يهمها ان يثرثر الناس حولها. كان هذا يناسبها اكثر من موضوع رتيبها الوسيم العدائي.

«اوه» وسعت عينا الفتاة باستغراب وقالت: «ما قالته دورا كريستي صحيح».

من المؤكد ان دورا كريستي هي من اللواتي يقرعن الطبول لايصال المعلومات الى الجميع في قرية دلثروب.

أكّدت ترينا لخادمة المقهى صحة ذلك بابتسامة عريضة. واذا بالخادمة تسمع احداً يناديها لتعود لعملها. تركت سؤالاً يدور على شفتيها وعادت الى داخل المقهى وهي متبرمة. جلست ترينا تفكر وهي تتناول فنجان الشاي. كانت تفكر بجنيفر، لا بد أنها جميلة... ولكنها غير مصقولة او رفيعة الثقافة. ربما عنفوان الشباب هو الذي جعلها تتصرف على هذا النحو. لقد تسرعت بتصرفها ثم ندمت عليه... لا. لم تندم ابداً وإلاّ لعادت اليه وتصالحت معه. ربما حاولت ذلك ولكنه صدّها ورفض عودتها. كانت ترينا تؤمن ان اندرو من النوع الذي لا يسامح ولا يتساهل مع الغلط. كانت ترينا تنظر عبر النافذة حين مرت بها سيارة سبور مكشوفة تقودها جيرالدين. رفعت جيرالدين يدها تحييها وهي تبتسم. كانت تربط شعرها بمنديل حريري. تعجبت ترينا كيف يمكن لسيدة محترمة ومصقولة ورفيعة التهذيب ان تقود سيارة سبور مكشوفة على هذا النحو. حين رأتها لأول مرة في الفندق الفخم في سيدني حيث تمّت المقابلة معها من اجل العمل لم يكن يخطر ببالها انها كذلك.

دخلت جيرالدين المقهى بعد خمس دقائق وجلست على الطاولة مع ترينا وطلبت الشاي وصدّت خادمة المقهى بصرامة وادب وابعدتها عن مجلسها.

«كنت سأمر عليك في براكيه لأرى كيف تسير الامور معك». قالت جيرالدين ثم تابعت:

«البارحة كان اندرو يتعشى معي ولكن الرجال لا يسرفون بالشرح عن الموضوع». ثم ابتسمت بمكر «عرفت منه انه قابلك لأول مرة في وضع غير تعليمي».

ضحكت ترينا بدون ارادتها وهي تتذكّر ما حصل. انها ترتاح لمحادثة جيرالدين. فهي لا تشبه اندرو في تصرفاتها مع انها من آل دلوين.

«لقد اقنعني الاولاد بتأدية رقصة الحرب الهندية». ثم ضحكت «واظن ان ابن أخيك قد ذعر».

«لا. لقد غضب اكثر مما ذعر». قالت جيرالدين بصراحة «ولقد اتصل بي هاتفياً وهو يسألني بحق الشيطان كيف استخدم راقصة لتعليم الاولاد

بدلاً من معلمة مدرسة».

ضحكت ترينا من جديد وهي تتصوّره يقول هذه الجملة والغضب يتطاير شرراً من عينيه.

«كنت انتظر منه ردّة الفعل تلك ولكنني اقنعته الآن انني استطيع ان اعلم الاولاد».

«حسناً». خلعت جيرالدين منديلها عن رأسها وهزت رأسها موافقة.

«كيف يتصرف الاولاد؟».

«كالملائكة».

تعجبت جيرالدين:

«انت تدهشينني. كنت انتظر ان يتصرفوا على عكس ذلك».

«يجب ان اعترف انني قمت ببعض التهديد. لقد اخبرتهم بأنني ان لم انجح في تعليمهم ميرسلني اندرو ويأتي بمعلمة عجوز شمطاء بدلاً مني لتقوم بالمهمة. وعليهم ايضاً ان يطيعوني».

«فكرة مدهشة».

قالت ترينا:

«ولكنها ليست تربوية على ما اعتقد».

«حتى الانظمة التربوية يجب ان تتطور». قالت جيرالدين: «في مثل ظروفك عليك تأمين طاعتهم وتعاونهم. لو كنت معلمة محترفة لوجدت طريقة اخرى لمعاملة الاولاد افضل من الرشوة». نظرت جيرالدين اليها نظرة صداقة ومحبة «اخبريني كيف تتعاملين مع اندرو بعد ان زالت العاصفة وانقشع الغضب عن وجهه؟»

«نادراً ما أراه عندما نلتقي نتكلم عن الاولاد لبعض الوقت. لقد اتيت الى دلثروب هذا الصباح برفقته». كانت ترينا تخشى ان يكون احد قد رآها تنزل من سيارته هذا الصباح وقد يصل النبأ الى جيرالدين مزخرفاً. «بدأت امشي من براكيه...».

«كنت ستحضرين الى دلثروب مشياً! يا الهي. وهل تحتاجين للقصاص».

قالت ترينا:

«لا. انني احب المشي واحتاج لبعض التمرين».

نظرت جيرالدين اليها وقالت:

«انت لست بحاجة الى انقاص وزنك».

ضحكت ترينا ثم قالت:

«وهل تتصورين راقصة باليه بدينة؟».

«لا أعتقد. على فكرة. ربما ستقابلين بعض الاشخاص ليمتزجوا رأيك في الرقص في الحفلة الموسيقية التي ستقام هنا قريباً».

«لقد استلمت العرض». هزت ترينا رأسها بكبرياء «ان ذلك لا يزعجني ابداً وأتمنى ان لا ينتظروا شيئاً ممتازاً. انا ما زلت فتاة كورس».

«سيعجبهم كل شيء تقدّمينه لهم. أنت جديدة وكل ما تقدمينه سيكون جديداً على سكان القرية. لن يكون هناك اي انتقاد».

«لقد اكتشفت انني شيء فريد منذ وصلت الى دلثروب. كأنني قرد في قفص ضمن حديقة الحيوانات ويتفرج الجميع علي».

«هذه هي حياة القرية. وهل يزعجك الأمر؟».

«لا ابداً. انها تذكرني بحياتي في قريتي في انكلترا. السيدة المسؤولة في مركز البريد هنا تشبه المسؤولة هناك تماماً».

«اوه. لقد قابلت السيدة بنترول موظفة البريد».

«دخلت مركز البريد لارسل رسالة الى صديقتي في سيدني».

«حتماً بدأت تثرثر. انها تحب ان تمرر معلومات وتفضل اكثر ان تستلمها».

«انا لم ابحث معها اي شيء عن براكيه او عن مالكه. اذا كان هذا ما تقصدين اليه».

ابتسمت جيرالدين وقالت:

«وانا لا اتهمك بالثرثرة يا صغيرتي. السيدة بنترول ربما حاولت ان تمرر لك معلوماتها مما جعلك فضولية».

«نعم. لقد فعلت ولكنني لم اشجعها على الكلام».

سألتها جيرالدين:

«هي لا تحتاج للتشجيع... ماذا قالت؟».

«ليس كثيراً... قالت ان شابة اسمها جنيفر لانجلي صرخت وركضت خارج الغرفة عندما رأت وجه ابن اخيك بعد الحادث».

«من الافضل ان اخبرك القصة الكاملة» قالت جيرالدين وهي تتنهد «حتى لا يصلك نصاً مشوهاً».

«لا اريدك ان تفعلي مالا ترغبين فيه».

«طبعاً. ولكنني افضل». قالت جيرالدين بألم «كنت عرابة جنيفر لانجلي. ومع ذلك كنت لا احبها كثيراً. كنت واثقة بأن خطوبتها لأندرو غلطة ولكنني لم استطع ان افعل اي شيء. ولو رغب اي شخص ان يتدخل بأمر خطوبتهما لهربا خطيفة».

وافقتها ترينا على كلامها مع انها كانت تجد صعوبة في ان تصدق ان اندرو يخطف فتاة بقصد الزواج. اكملت جيرالدين:

«حضرت جنيفر لتعيش معي منذ كانت في الثامنة من عمرها. كان والدها طبيباً ماهراً في استراليا. اصيب بعدوى مرض عضال من احد المستوطنين واعطى العدوى بدوره الى زوجته بدون ان يعرف اي شيء عن هذه الجرثومة المميتة. توفي قبل وفاة زوجته باسبوع. كانت جنيفر في المدرسة في برزباين لحسن حظها وكان عليّ ان اعلمها بموت والديها وعدت بها لتسكن معي. لقد فقدت زوجي قبل سنوات والوحدة تضيق عليّ خناقها. كنت مسرورة من وجود جنيفر معي وقد دللتها كثيراً واعتقد ان هذا هو السبب الذي جعلها انانية».

لم توافق ترينا على نظرية جيرالدين. فالانانية جزء من الطبيعة البشرية ولا تكتسب في التربية.

«كان اندرو يحبها كثيراً. وهذا شيء طبيعي على ما اعتقد. جنيفر آية في الجمال. ويوم الحادث... كان اندرو عندي. لقد اوصل جنيفر ثم غادر دلتروب وفي طريق العودة الى براكيه. اصطدمت سيارته بسيارة كبيرة يقودها سائق مترنح. انحرف على الزاوية خطأ وداهم سيارة اندرو دون هوادة. لم يستطع اندرو تفادي الاصطدام ولحسن الحظ لم تكن اصابته خطيرة ولكن زجاج الواجهة الامامية تحطّم واصيب بجروح عميقة في خده الايمن ضمّدها له الطبيب. حين وصلت جنيفر لتراه بعد الجراحة صرخت وركضت خارج الغرفة. كان الجرح بشعاً... في ذلك الوقت. لحقت بها على الفور... اصابتها نوبة هيستيرية... وقالت انها لا تستطيع ان تتزوج رجلا منظره مخيف. كانت تكره التشويه في كل شيء».

«انها مجنونة وقاسية». قالت ترينا في نفسها. «لو لم يوصلها لبيتها لما حصل له هذا الحادث. لقد تخلّت عنه عندما كان يحتاجها اكثر من اي وقت سابق». اكملت جيرالدين ذكرياتها الأليمة:

«لم تذهب لزيارته في المستشفى بعد ذلك وبعد اسبوع هربت مع رجل آخر وتزوجته».

سألتها ترينا:

«وتركت لك مهمة اخبار ابن اخيك؟».

هزت جيرالدين رأسها ايجاباً.

«نعم. لقد تركت لي رسالة تذكر فيها اسباب هربها، كانت تخاف ان احاول اقناعها كي لا تفسخ خطوبتها مع اندرو. لكنني لم اطلع اندرو على الرسالة. اعتقد انه فهم الوضع. حاولت ان اجعله يصدق انها اقترفت خطأ بخطوبتها لأنها تحب شخصاً غيره».

سألتها ترينا:

«وماذا قال؟».

«لا شيء... ادار وجهه بعيداً عني. حاولت ان اتكلم معه ولكنه تجاهلني وتظاهر برغبته في النوم. كان يطوي نفسه على المرارة في داخله التي بدأت ولا تزال تتلف وتفسد حياته الى اليوم».

«الم يحاول الجراحة التجميلية؟».

«من الواضح انه لم يكن هناك ما يمكن ان نفعله. كان الجرح عميقاً جداً... وكذلك في موقع حساس. وهناك خوف على بصره ولذا رفض هو الجراحة. لم يتكلم عنها كثيراً وانا لا أعرف التفاصيل». هزت جيرالدين رأسها متأسفة «الشاب الجاهل لا يعرف ان الندبة لا تشوّه وجهه أبداً».

هزت ترينا رأسها موافقة. واكملت جيرالدين:

«وانت توافقينني على هذا الرأي!».

«نعم منذ رأيته لأول مرة لاحظت هذه الحقيقة. ولكنني لم انس تحذيرك... لا يمكن لأي فتاة الاّ ان تلاحظ وسامة الشاب وهي تراه للمرّة الاولى... حتى ولو كانت تحب شاباً آخر». قالت ترينا ببطء وهي تتمنى ان تكون جيرالدين قد تفهمت كلامها مع انها اصبحت غير واثقة من انها لا تزال تحب دنيس. غريب كيف تتغيّر مشاعر الانسان فجأة.

قالت جيرالدين موافقة:

«هذا صحيح».

كانت تتمنى من كل قلبها ان يقع اندرو في غرامها. انها فتاة ذكية ناضجة. وتتمنى ان يغيب حبيبها البعيد كلياً عن مسرح حياتها.

«اذا صدق حدسي فربما هو اكثر وسامة بالندبة منه بدونها... انني طبعاً لا اعرف شكله في السابق».

«انت فتاة حادة الذهن». كانت جيرالدين تمدحها: «هو اكثر وسامة ولكنني لا اعتقد انه يعرف هذه الحقيقة ونحن لا نجرؤ على ذكر هذه الحقيقة له لانه سيقول بأننا نتظاهر بهذا الامر».

ثم حاولت جيرالدين ان تبحث اموراً اخرى. سألت ترينا عن تعليمها الجامعي واختصاصها شعرت ترينا بأن حديثها عن نفسها مع جيرالدين كان اسهل منه مع اندرو. بقيت تثرثر براحة وسهولة واعتذرت اخيراً عن كثرة كلامها:

«آسفة. ربما اكون قد اضجرتك».

«لا ابداً. دراستك الجامعية ليست عادية يا عزيزتي. لو تخبريني ببعض ألعابك وحيلك التي قمت بها مع الاساتذة».

ضحكت جيرالدين. اخبرتها ترينا بعضاً منها على سبيل التسلية.

«وربما تخبرين أندرو هذه القصص الطريفة يوماً ما». اقترحت جيرالدين وهي تنظر اليها نظرتها الى صديقة حميمة. «وهل تعرفين انه ملم بالعلوم؟».

قالت ترينا:

«لا. لم اعرف بل لاحظت شيئاً من هذا حين تعرّف الى نظرية اينشتاين في النسبية يوم كتبت معادلتها على اللوح. ما نوع عمله؟».

«انه لا يقوم بالابحاث ولكن معلوماته في العلوم ترتكز على اسس جيدة».

سألتها ترينا مرة ثانية بدون ان تخفي فضولها:

«وماذا يعمل؟».

«انه يملك مصنعاً ينتج أدوات الكترونية».

«اوه»! انها لم تربطه بشيء من هذا القبيل. كانت تظن انه من رجال

المال في المدينة.

«حالياً يفكر في بناء مصنع جديد في ميونا». اضافت جيرالدين «هناك طلب متزايد على الادوات الالكترونية في هذه الآونة».

«حتماً». ضحكت ترينا وهي تتذكر رود وهوايته «ضفت ذرعاً بالاقمار الصناعية والصواريخ. لقد اكتشف رود مؤخراً ان انواراً جديدة تلمع في السماء غير النجوم وقرر ان يعرف ما هي».

لحسن حظه ان يجد من يساعده في اكتشاف هذه المعلومات، كانت جيرالدين تفكر، بأن ترينا ليست شخصاً تافهاً كي ترغمها على تناسي الموضوع برمته. كأن حقيقة ترينا قد صعقتها فجأة.

تساءلت: كم تصلح هذه الفتاة لاندرو! تستطيع ان تحادثه بذكاء وتبحث معه شؤون عمله وترفه عن موظفيه الاختصاصيين والفنيين. ولن تبقى خارج نطاق محادثاتهم. ذكاؤها يفوق ذكاء الرجل العادي وهي افضل من معظم الفتيات. جدها بروفسور فيزياء ترعرعت في منزل يحيط بها الاساتذة والدكاترة من كل الاختصاصات، ومن المؤسف ان اندرو قد دفن نفسه في قوقعة وانكفأ بداخلها... لا يراها. ثم هناك المعجب الآخر في حياتها...

سألتها جيرالدين:

«لم اسألك! كيف تجدين الحياة في استراليا؟».

«أحبها كثيراً. لم أرغب في الحضور في البداية. كنت أتعلّم الباليه على يد استاذ ماهر وخفت ان اضيّع فرصة تكميل دروسي في رقص الباليه هنا. ولكنني غيّرت رأيي حين وصلت الى سيدني، قبل ان نحضر الى استراليا كنا نعرف عن ماضيها اكثر بكثير مما نعرفه عن حاضرها، توقفت ترينا وقد لانت قسمات وجهها ثم اكملت: «ساعة دخلت الباخرة مرفأ سيدني دهشت لجماله. لم ار في حياتي منظراً اجمل منه. كان فصل الصيف وجميع الالوان مشرقة... السماء زرقاء والبحر ازرق والجسر يمتد امامنا كأنه شريط مخرّم. ومن مسافة بعيدة بدت اشرعة اليخوت البيضاء كأنها نوارس ضخمة...».

توقفت ترينا فجأة عن الكلام ونظرت الى جيرالدين باستحياء «ويبدو انني اصبحت شاعرة... لقد أضجرتك».

«لا. أبداً. حين نستمع لمثل هذه التعابير نشعر بالفخر والاعتزاز في بلدنا».

«لديكم أسباب لفخركم. ان البلاد بديعة. حين دخلنا مرفأ فريمنتال كانت تنتظرنا أول مفاجأة».

«دخلتم مرفأ بيرث؟».

«كانت ستفوتنا الباخرة. نزلنا البر لتمضية بضع ساعات وكنا نجهل كم تستغرق طريق العودة من بيرث الى مرفأ فريمنتال».

«هل ركضتم المسافة الطويلة فوق الجسر المزبل؟».

هزت ترينا رأسها موافقة وهي تتذكر الجسر الطويل الذي يلف المرفأ. كان طويلاً كأن لا نهاية له وبخاصة عندما يتأخر المرء عن موعد الباخرة.

«جدي لا يستطيع الركض. كنا نمشي بسرعة ولم يبق على موعد قيام الباخرة سوى خمس دقائق. وصلنا اخيراً واذا بزوجين شابين يركضان فوق الجسر وقد انقطع نفسهما».

«شعور غريب ومريع». وافقتها جيرالدين «لقد فاتتني الباخرة مرة حين كنت في اميركا كان علي ان استقل الطائرة الى المرفأ التالي لألحق بالباخرة».

لم تذكر ترينا ماذا يعني للزوجين الشابين ان تفوتهما الباخرة... وهما لا يملكان من المال الا القليل.

قالت جيرالدين:

«في كل حال، انتهت المفاجأة نهاية سارة هل ظننت انك ستشاهدين حيوان الكنغارو يقفز في الشوارع وسكان استراليا السود يطلّون برؤوسهم من خلف كل بناية؟».

«بالطبع لا». انكرت ترينا وهي تضحك بمرح «ولكنني لم انتظرها هكذا... مدينة حديثة».

«وتضم فرق أوبرا وفرق باليه...».

كانت جيرالدين تضايقها بلطف وتمزح معها. ثم تكلمت بجدية:

«اين ستعملين بعد عودتك الى سيدني؟».

«لدي عمل جديد».

شرحت لها بعد أن شعرت بضربة قوية في قلبها.

«هناك فرقة باليه جديدة. انها فرقة دولية».

سألتها جيرالدين:

«حقاً! فرقة دولية؟».

«نعم تضم اشخاصاً من كل الجنسيات».

سألتها جيرالدين بتعجب:

«وكيف ستتعاملين معهم؟».

«جيد جداً... مع انني لم اقابل اكثرهم بعد».

«انا مسرورة لانك لست متعصبة مثل العديد من الناس لبلد او لجنس».

قالت جيرالدين. ثم صمتت قليلاً قبل ان تكمل:

«هل تعرفين ان والدة اندرو ايطالية الأصل؟».

اجابت:

«لا».

ولكنها لم تفاجأ. ان عامل الوراثة هو المسؤول عن تكوين اندرو الغريب. لون شعره الاشقر البلاتيني يعود لأصوله النورماندية بينما سواد بشرته وعينيه يعود لأصوله اللاتينية.

«الزيجات المختلطة هي السبب. لقد حضرت الى استراليا جنسيات مختلفة».

هزت جيرالدين رأسها موافقة:

«ان استراليا مثل اميركا بهذا الشأن». نظرت الى ترينا نظرة غامضة وقالت: «هل يشبه اندرو الايطاليين. كان يشبه والدته قليلاً». ثم صمتت قليلاً وسألتها: «وماذا عن حبيبك الشاب؟ اعتقد انه راقص باليه في الفرقة معك».

اعتقدت ترينا ان جيرالدين اتت على ذكر دنيس فقط لتنذرها من جديد كي تبتعد عن طريق اندرو.

«لا. انه لا يعمل في الباليه».

«اعتقد انك ستتخلّين عن مهنتك بعد الزواج أم أنه سيسمح لك بالعمل؟».

«لم نبحث هذا الموضوع بعد» اجابتها ترينا بهدوء «انه متزوج وزوجته لا تمنحه الحرية وترفض اعطاء الطلاق».

من المستغرب انها تتكلّم عن هذا الموضوع بدون اي شعور بالألم او الانزعاج. كأن الامر لا يعنيها. بعدها عن دنيس ساعدها في رؤية الامور على حقيقتها واسترجعت قواها الكاملة. يبدو ان علاقتها به سحابة جنون بل افتتان.

«آسفة. اتمنى ان لا تفكري بتحدي التقاليد والقيم لتعيشي معه. ان ذلك خطأ كبير».

هزت ترينا رأسها موافقة:

«لا استطيع ان افعل ذلك مهما كنت أحبه... الخداع سيقتل الحب حتماً. وسأخسر احترام نفسي».

«انت محقة يا عزيزتي. اشك في ان تنجح علاقة الحب هذه. سيخسر الانسان شيئاً ما مهما كانت قوة الحب».

مدّت جيرالدين يدها ولامست ذراع ترينا بحنان وهي تشفق لحالها.

«أتمنى ان تنتهي مشكلتك نهاية جيدة».

حولت جيرالدين الموضوع بسرعة كي لا تشغل فكر ترينا بغرامها التعيس.

«هل قررت أية رقصة ستؤدين في الحفلة الموسيقية؟».

«لا. ليس بعد. لقد سمعت بالحفلة هذا الصباح». ابتسمت بمكر «اعتقد انني لا استطيع ان ارقص رقصة سالومي والبراقع السبعة».

«ولماذا لا؟ رقصتك ستكون موضوع حديث دلتروب لعدة أشهر».

ابتسمت ترينا وتمنت لو تخبر جيرالدين كم كان حديثها ملذاً. تعجبت هل كان اندرو قبل الحادث مثل عمته؟ بدأت تفكر في نفسها: كيف سيتلقى اندرو نبأ رقصها في الحفلة الموسيقية؟ كأن الامر لا يعنيه ابداً ما دامت لا تهمل وظيفتها التعليمية للأولاد. نظرت نظرة شيطانية مرة أخرى وهي تتعجب: كيف ستكون تعابير وجهه لو رقصت فعلاً رقصة سالومي والبراقع السبعة؟ هل سيصدم؟ ام انه لن يهتم ابداً كأن الامر لا يعنيه.

اصرت جيرالدين ان توصل ترينا الى براكيه بسيارتها. مرتا بطريقهما الى منزل السيدة ماري باركنسون منظمة برنامج الحفلة وهي امرأة متوسطة العمر وتملك حيوية ونشاطاً واهدافاً كبيرة. كانت مسرعة في اعمالها ولا وقت لديها تضيعه لذا كانت الزيارة قصيرة. رتبت السيدة ماري موعداً

لزيارة ترينا في براكيه خلال الاسبوع المقبل. ستجلب معها برنامج الحفلة، بعد ان تتمكن من التغيرات الضرورية في تعديل البرنامج.

وصلت جيرالدين الى براكيه وسلّمت على الاولاد ثم عادت أدراجها. كانت مشغولة ولا تستطيع البقاء. لم يعد أندرو بعد من عمله. يظهر أنه ذهب الى أبعد من دلتروب. ربما ذهب الى ميونا من أجل المصنع الجديد الذي سيشاد هناك. لن يحضر قبل المساء.

لم تره ترينا وقت الغداء. تناولت طعامها وحدها ثم صعدت الى غرفتها. وحين وصلت الى الشرفة سمعت سيارته تقف ثم شاهدته يدخل القاعة ويتكلم مع السيدة جاميسون التي حضرت لملاقاته. اجابها اندرو:

«شكراً يا سيدة جاميسون لقد تناولت غدائي».

ثم اكمل طريقه الى مكتبه وأغلق بابه بقوة وتصميم وأخرج الجميع من حياته. تنهدت ترينا وأكملت طريقها الى غرفتها. لماذا تنهدت؟ حتماً ليس من أجل دنيس... حضرت جولي في المساء الى غرفة ترينا تريد ان تشاركها في موضوع ما.

«أريدك ان تنزلي معي الى الحديقة. أريد ان اريك شيئاً غريباً».

تبعتها ترينا الى الحديقة. كان يجلس فوق غصن شجرة طويلة حيوان صغير رمادي اللون شعره طويل وذيله كثيف. قالت ترينا على الفور:

«انه الابوسوم!».

قالت جولي:

«تعيش عائلة منها داخل فجوة في جذع الشجرة».

ثم مدت يدها الى جيبها وأخرجت بعض الخبز والمربى. كانت الصغيرتان لينت وغايل تراقبانها باهتمام. قسّمت الخبز الى فتات وقدمته الى الابوسوم. امسكها الحيوان الصغير بمخالبه الصغيرة وبدأ بمضغها. طعام الابوسوم الاصلي هو اوراق الشجر الا انه كان يتناول طعامه الجديد بسرور. حضر الابوسوم الاب الكبير واغتصب لنفسه بعض الفتات ثم دخل فجوة الشجرة من جديد. هزّت ترينا رأسها وهي تضحك لمشاهدة الحيوانات تتنازع طعامها بقوة. قالت ترينا:

«انها حيوانات صغيرة وماكرة».

لقد رأت العديد منها في سيدني حيث عاشت مع جدها في شمال البلاد

في الضواحي. وهي حيوانات لها جراب أو كيس في بطنها وتنتمي الى فصيلة الكنغارو. تعيش في النهار داخل الاشجار وتخرج منها في الليل واحياناً تتسلق سطوح المنازل، وتتأقلم بسرعة لتعيش مع الانسان. كثيرة الشجار مع بعضها ويعتبرها الانسان من الحيوانات الضارة والمؤذية. بعض الناس يدجنون صغارها لشكلهم اللطيف والجذاب ويتسامحون من ازعاجهم.

دخلوا جميعاً البيت. بدأت جولي تفتش عن شقيقها التوأم، ودخلت ترينا غرفتها وحاولت المطالعة في كتابها. لكنها شعرت بقلق غريب ولم تستطع ان تركز افكارها في الكتاب، تركت الكتاب من يدها وخرجت. زارت الاولاد في فراشهم قبل موعد نومهم وتمنت لهم نوماً هادئاً.

وقفت ترينا وحدها في اعلى السلالم. نظرت عبر النافذة الى الحديقة ثم عادت بسرعة الى غرفتها وتناولت سترة واقية من البرد ولبستها فوق ثوبها الصيفي ونزلت السلالم الخلفية. هناك غرف للمؤونة قرب السلالم الخلفية بنيت حديثاً واتبعت بالمنزل. يوجد سلم خشبي يصل الى سطح غرف المؤونة. صعدت ترينا السلم الخشبي برشاقة وخفة ومشت الى السطح تريد ان تلقي نظرة من فوقه علها ترى البحر. كانت السيدة جاميسون قد ذكرت امامها بان البحر يرى من فوق السطح في ضوء القمر في يوم صاف. تعجبت ترينا وهي تلمح شيئاً يشبه البحر عن بعد في ضوء القمر المنير.

يحيط بالسطح سور من الحديد المطلي بالدهان ويرتفع حوالى المتر. كان منظر الحديقة من فوق وكأنها ارض الاحلام. تنفست بارتياح وهي تتبين البحر عن بعد في ضوء القمر. ثم شعرت فجأة بأنها ليست وحدها.

سألها الرجل الواقف بعيداً عنها ببطء:

«الآنسة مريتون؟».

اجابته:

«نعم».

احتارت ماذا تفعل. هل تركض من وجهه على الفور وتختفي... ولكن تصرفها سيبدو غريباً ان فعلت. كل ما تتمناه ان لا يظن انها لحقت به الى السطح كما اعتقد هذا الصباح انها تعمدت ان تضع نفسها بطريقة ليحملها معه. قالت ترينا وهي مرتبكة وشعرت بأن كلامها غير لائق:

«أليس خطراً علي دخول هذا المكان؟».

اجابها بهدوء:

«ولماذا يخطر عليك دخول السطح؟».

«انا... أنا لم أعرف ان المكان...».

لم تكمل جملتها. حاولت ان تغير الموضوع. كان اندرو قد انتصب واقفاً واتجه لناحيتها.

«ان المكان جميل. المنظر...».

توقفت ترينا عن الكلام فجأة لأنها وجدته يغازلها ثم ما لبث ان امسك بها وسألها بخشونة فائقة:

«هذا ما كنت ترغبين فيه أليس كذلك؟».

كان الصمت يلفها. تساءلت بهدوء:

«انت تعتقد انني تبعتك الى هنا؟».

«أليس كذلك؟».

«لا».

كان اندرو يبتسم بازدراء يمتزج بالسرور. هزت ترينا رأسها غضباً:

«وكذلك لم اتعمد ان توصلني بسيارتك الى دلتروب هذا الصباح. لم اكن اعرف انك ستذهب الى هناك».

«من الواضح ان عليّ ان اعتذر».

«لا. لا اريد اعتذاراً ليس صادقاً لقد أهنتني... ومع ذلك... اعتقد ان عليك ان تسمعني بصراحة».

قال باقتضاب:

«تفضلي».

وفي ضوء القمر رأته يرفع يده الى خده الايمن ويمر بأصابعه فوق الندبة دون وعي. رفعت يدها بسرعة وأمسكت بيده من الرسغ وجرتها الى جانبه بعيداً عن وجهه وقالت:

«لا تفعل ذلك!».

هناك مشكلة ضمن المفاجأة. أبعد رسغه من قبضتها كأن لمستها قد احرقته.

«عفوك!».

«وهذه الندبة اللعينة هي المشكلة. رجل في مثل ذكائك... الا تعتقد انك تتصرَّف بجنون؟ انها ندبة بسيطة وهي لا تشوهك كما تظن».

هزت رأسها وهي ترى امامها شاباً طائشاً لا يصدِّق ما يسمع. كان وجهه الاسمر مشدوداً مقابل وجهها. ثم اكملت:

«أنا لا اتظاهر ولا اكذب... ان الندبة لا تشوهك ابداً ربما انت رجل من مليون تزيده الندبة وسامة. واعتقد انك كنت اقل وسامة قبل الحادث. انت اليوم تشفق على نفسك وتحتقرها...».

«أنا اشفق على نفسي؟».

«أليس كذلك؟ هل من المعقول ان تسمح لهذه الندبة ان تحملك مسخاً كريهاً يرتعد كل انسان ينظر اليك ويبتعد عنك».

اعتقدت لأول وهلة انها تخطّت حدود اللياقة. نظرت اليه في ضوء القمر. كأنه تلقى ضربة على رأسه. ابيض وجهه وشحب ثم امتدت يداه النحيلتان القويتان وأمسكتا بذراعيها من جديد. لكنه لم يهزها هزاً عنيفاً كما توقعت. لم يفعل أي شيء. امسك بها بدون وعي ووقف ينظر اليها مستغرباً.

افلتت يداً واحدة ومرّت بأصابعها بلطف فوق الندبة وقالت بلطف:

«انها ليست بشعة» اكدت له مرة ثانية. ثم افلتت من قبضته المتوترة وركضت مسرعة تنزل السلالم الخشبية وهي تقول لنفسها: لقد انتهت مدة بقائك في براكيه حتماً... عندما يستفيق من صدمته سيطردك.

قامت ترينا بأسوأ ما يمكنها. لكنها ليست آسفة لما قالت. حان الوقت كي يعرف الحقيقة التي لا يجرؤ احد على مفاتحته بها... كان ينتظر ردّة فعلها أو على الاقل شيئاً من التقريظ الشفهي او ما شابه. ربما كلامها معه كان على خلاف ما انتظر.

حين وصلت غرفتها كان شعورها بالذنب يتضاعف. من غير المعقول ان تنسى ما حدث او ان تركن الى مطالعة كتابها كالليلة الماضية. اطفأت النور وجلست قرب النافذة تفكر باضطراب تحت ضوء القمر.

هل ما زال اندرو واقفاً مكانه على السطح... ربما كان يمطرها بوابل من شتائمه: راقصة حقيرة لها الجرأة لتتكلم معه على هذا النحو. ربما يكون الآن في مكتبه يوقع لها شيكاً باتعابها لتغادر براكيه ويضمنه رسالة قاسية

يأمرها بالرحيل في أول قطار. عندما تركته لم يظهر عليه الغضب بل الجمود. لقد صدم. ربما ستتبع الصدمة موجة الغضب والثورة.

وفي الصباح الباكر، ومع فنجان الشاي الصباحي وصلتها رسالة مغلقة مع الخادمة. انتظرت قليلاً حتى انفردت بنفسها وفتحت الرسالة بأصابع ترتجف. كانت ورقة بيضاء مكتوب عليها الكلمات التالية بخط واضح:

«ارجو ان تعذريني، انني صادق فيما أقول».

صعقت ترينا هذه المرة من دهشتها. قرأت الرسالة مرتين لتتأكد من مضمونها. قرصت نفسها لتتحقق بأنها ليست في حلم او انها تتخيّل هذه الكلمات. ارتاحت فوق وسائدها وابتسمت لنفسها ابتسامة رضى وقد داهمها شعور غريب وأحاسيس متضاربة.

«كم هو انساني». قرأت رسالته من جديد وقد غمرها احساس لذيذ بأنها ستبقى في براكيه... لن يطردها بالرغم من كل ما قامت أو تفوهت به.

انهت فنجان الشاي بسرعة وقفزت من سريرها بدون ان تتلهى. كانت تحس ببعض الخجل لانها ستقابله. لقد اعتادت ان تتناول فطورها مع الاولاد. نظرت حولها ولكنها لم تره. خاب أملها. ذهبت برفقة الاولاد الى الكنيسة. هذا يوم الاحد. وحين عادوا لم تره ايضاً. لم تشعر بوجوده مع انه كان فوق السطح حيث التقته البارحة ليلاً. كان يراقب خروجهم جميعاً من السيارة التي عادت بهم من دلتروب. كان الاولاد يتصايحون ويتراكضون الى غرفهم ليبدلوا ثياب الاحد الرسمية بلباس اللعب في الحديقة. ستختفي اناقتهم المصطنعة بعد خمس دقائق.

الطقس دافىء وجيد. صعدت ترينا الى غرفتها وبدلت ثيابها، لبست بنطلوناً أبيض قصيراً وفوقه بلوزة قطنية خفيفة وخرجت بصحبة الاولاد الى الحديقة. جولي وورود يتسلقان شجرة بينما الصغيرتان ليث وغابل تجلسان على جذع شجرة فوق الارض تراقبانهما باهتمام. كانت غابل تمسك بالجرو بقوة وحزم حتى لا يفلت منها. دعت جولي ترينا لتسلّق الشجرة ولكنها رفضت واعتذرت. اصبحت اكثر انتباهاً لنفسها وتفضل ان تتجنب الاخطار قدر الامكان وهي تخاف ان تسقط من فوق الشجرة فتكسر رجلها او تلوي كاحلها. انها ليست مسؤولة عن مراقبتهم خارج ساعات

التدريس ومع ذلك كانت تحب ان ترافقهم. وبعد ان تأكدت من سلامتهم تركتهم ومشت في الحديقة الى مكانها المفضل. كانت تحب الجلوس على حائط البركة تراقب انسياب الماء من النافورة الصغيرة في وسطها. يحيط بالبركة جدار من الحجارة. جلست ترينا توازن نفسها فوق طرفها الضيق وتحمل بيديها بعض الحصى الصغيرة تتسلى برميها في بركة الماء. هنا جلستها المفضلة في اوقات فراغها، تجلس وتحلم. . . وهناك شجرة مرتفعة تتمايل بفعل النسيم وتتساقط أزهارها الزرقاء فوق شعرها وعلى سطح الماء في البركة.

رسالة اندرو لها سحرتها. كانت تعتقد أنه رجل قاس لا تسمح له عزة نفسه بالاعتذار. ومع ذلك كان صادقاً في اعتذاره. لقد أثرت فيه محاضرتها الاخلاقية على عكس ما توقعت.

رمت حصوة اخرى في البركة وللفور انهمرت الحصى من خلفها. نظرت بسرعة لتجد اندرو واقفاً خلفها. قال بسرعة:

«قال لي الاولاد انك هنا».

نظرت اليه ترينا ولم تدر ما تقول. . . بقيت صامتة كأن لسانها قد عقد.

«حضرت لاعتذر لك بنفسي» اكمل وكأنه يجد صعوبة في الكلام. «عملي لا مبرر له ابداً».

«لا بأس». كان صوتها متهدجاً «واعرف لماذا تفعل ذلك». راقبته وهو يرفع يده مرة ثانية الى خده بدون وعي. «ارجوك لا تفعل».

نظر اندرو الى يده المرتفعة وتعجب. كيف وصلت الى وجهه بدون ارادته. هزت ترينا رأسها:

«انت تفعل ذلك بدون وعي أليس كذلك؟».

«اعتقد ذلك».

اعترف لها. التقت عيناه السوداوان فجأة بعينيها. كانت نظرة اسف تطل منها. ركز بصره بعد ذلك على كتلة صمغ فوق جذع الشجرة. ثم بدأ يدهس برجله نبتة صغيرة من العشب الاخضر كانت تنبت قرب جدار البركة.

«هل كنت تعنين ما قلت الليلة البارحة. . . انها ليست. . . بشعة ولا تشوه وجهي؟».

«طبعاً لو انك لم تقرر بحزم انها تشوهك لكنت رأيت الحقيقة بنفسك».

نظرت اليه وجهاً لوجه ولكنه فضل ان يراقب النبتة التي دهسها وهشمها.

«انسان آخر. . . ساعدني على هذا الاعتقاد».

كان صوته ليناً ومتردداً كأنه لا يرغب في التحدث عما حصل معه ولكنه لا يستطيع كتمان الحقيقة مدة أطول.

سألته:

«تقصد خطيبتك؟».

نظر اليها نظرة حادة غير متوقعة. هزت ترينا كتفها تعتذر: لا يمكنني ان اتظاهر انني لا اعرف عنها اي شيء. انت تعرف أهل القرية وثرثرتهم، انهم مستعدون لتقديم كل المعلومات في أول فرصة».

«اعتقد ذلك. وهل اخبروك القصة الكاملة؟».

«عمتك هي التي اخبرتني ما حصل بعد ان حاولت السيدة بترول ان تمدني ببعض التفاصيل. قررت السيدة دلوين انك ربما تفضل ان اسمع القصة على حقيقتها منها هي حتى لا تصلني الاخبار مشوهة من الآخرين».

انفعل اندرو من جديد وعاود رفس النبتة الخضراء برجله حتى خلعها من جذورها.

«اعتقد انك كنت ستسمعين القصة حتماً. القرية مليئة بالثرثرة والاقاويل».

لا تحتاج ترينا ان تجيبه عن كلامه. التزمت الصمت وانتظرت قوله.

«هل تعتقدين انني مجنون لانني تأثرت كثيراً بالحادث؟».

«نعم اعتقد ذلك».

استدار اليها فجأة. احس بلدغة قوية من كلامها. بدت عيناه السوداوان مليئتين بالحزن والغضب.

«انت صريحة ولا تتصنعين الكلام؟».

«لقد اعطيتني الحق بالكلام الصريح الليلة الماضية».

ذكرته بلطف ثم تمنت لو أنها لا تتكلم معه بخصوصياته. شعرت بحرارة تتصاعد الى وجنتيها تكاد تحرقها. ركعت على ركبتيها لتتحاشى نظراته وشرعت تثبت النبتة التي انتزعها من جذورها في التربة.

اضافت بلطف:
«انظر ماذا فعلت للنبتة المسكينة».
كان كالاسطورة بشعره البلاتيني وسواد عينيه وسمرة بشرته. هذا المزيج من المتناقضات يلفت نظرها مرة بعد مرة. شكله الآن يشبه شكل القرصان... يحتاج فقط للابتسامة. ستكتمل صورة القرصان لو انه يبتسم ابتسامة شيطانية ماكرة. ابتسامة تخلو من المرارة والسخرية. حين تمالكت نفسها جيداً عادت الى جلوسها السابق فوق الحائط حول البركة ونظرت اليه وسألت:
«منذ متى حصل الحادث؟».
«منذ تسع سنوات». وقف فجأة. سرها انه ابتعد عن النبتة الصغيرة.
«ماذا تقترحين عليّ ان افعل؟».
«لماذا لا تبدأ بالتعرف الى الاولاد؟ انت المسؤول عنهم وهم يحتاجون لأكثر من الطعام الكثير والمنزل المريح. انهم يعتقدون بأنهم غير مرغوب فيهم. هذا الاعتقاد يسيء الى الاولاد... فهم يحتاجون للامان والاستقرار والحب اكثر من حاجتهم الى متطلبات الجسم من المأكل والملبس».
تمتم حزيناً:
«لكنني لست معتاداً على الاولاد».
«عندما يخلق الاولاد لا يكون احد معتاداً على وجودهم في البداية».
ضحكت وهي تتذكر كيف غمرها الاولاد بحبهم وكيف اكتسبت محبتهم وثقتهم. «انهم يستحقون ان تتعب نفسك قليلا من اجلهم. فهم لا يخادعون، يصدقونك الشعور بالمحبة او الكراهية».
«لقد اظهروا لي ذلك بوضوح».
«انت طلبت منهم الابتعاد عن طريقك. ولكنهم لا يزالون يتشوقون ليكونوا اصدقاءك».
«حتى الآن».
هزت رأسها موافقة وقالت:
«حتى الآن».
«الاطفال اكثر تسامحاً من الراشدين».

«طبعاً وهناك بعض الراشدين يتسامحون ايضاً ويكرم».
«انهم يخادعون».
«هل تعني انك لن تسامح احداً على غلطته؟ حتى لو كان ذلك التسامح من أجل سعادة غيرك؟».
ضاقت عيناه ثم نظر اليها نظرة حادة وماكرة. سألها متعمداً:
«هل تقصدين خطوبتي الى جنيفر؟».
«نعم. كان عليك ان تسامحها حين اكتشفت ان خطوبتها لك كانت غلطة اقترفتها».
«لا. لن اسامح».
كلمته القاسية المرعبة كانت كافية لأن تجعلها تنظر اليه بذعر.
«حتى ولو كانت آسفة فعلاً».
«لا».
«اذن انت ايضاً لا تنتظر ان يسامحك احد على غلطة ترتكبها».
اجابها بقساوة:
«أنا مستعد دائماً ان اكون مسؤولاً عن كل هفوة ارتكبها. لن انتظر ان يسامحني احد».
«اتمنى ان لا تجد نفسك في مثل هذا الموقف. تطلب السماح والشخص الآخر يرفض مسامحتك». قالت بهدوء وتفكير عميقين «ان تسامح او تطلب السماح هو من طبيعة الانسان».
«وانت لا تعتقدين انني انسان».
«انت انسان ولكنك تتظاهر بأنك لست انساناً».
كان ينظر اليها بغضب باهت وهو يفكر بما قالت. لقد وضع نفسه تحت مراقبتها وتفسيراتها وهو لا يحب ذلك. لقد تشعب الموضوع. تمتم بلطف:
«لا اعرف كيف اسمح لك ان تحدثيني بهذه الطريقة؟».
«ولا أنا». قالت بصراحة «أعتقد أن الوقت قد حان ليصارحك احد ما بالحقيقة التي تجهلها وهي ان الجميع هنا يخافونك كثيراً».
«وانت لا تخافينني؟».
لقد اثارت فضوله اكثر مما اغضبته. ثم اكمل:
«لا. لقد قلت لي ذلك بوضوح منذ التقينا».

عاد العبوس لوجهه ورفس النبتة من جديد برجله.
«هل تكرهينني كثيراً؟».
«انا لا أكرهك ابداً... ليس الآن. كرهتك يوم حضرت الى هنا».
ابتسم اندرو لها وشعرت بنبضات قلبها تسرع. كانت تشعر بتأثيرها عليه ولكنها لم تتخيل أنها تؤثر عليه بهذا القدر. لقد شع وجهه ولانت قسماته. ثم اكملت قولها:
«عليك ان تبتسم اكثر».
قال مبتسماً:
«انت صغيرة وجريئة».
ران صمت بينهما: كانت ترينا تنظر الى النبتة المسكينة.
«حان وقت الغداء». وقف اندرو فجأة ونظر الى ساعته وهز رأسه.
«علينا ان نعود الى المنزل».
وقفت ترينا ايضاً:
«علي ان اطلب من الاولاد تنظيف انفسهم قبل موعد الطعام».
كانت ترينا تعرف ان وقت الطعام لم يحن بعد. شعرت انه يريد عذراً ليتركها. احست معه برعشة خفيفة ومرت بتجربة لذيذة واحساس رقيق. انه حساس ومنطو على نفسه. نظر اليها بعينيه السوداوين نظرة تفاهم عميق ثم تمتم بشيء لم تفهمه واستدار ومشى بين الاشجار باتجاه المنزل. تركها واقفة قرب البركة وعلى شفتيها ابتسامة وقد غمرها شعور بالانتصار والفرح. ودت لو تعانق نفسها من شدة فرحها.

٤- الفدية الجميلة!

غادر اندرو صباح الاثنين الى عمله في سيدني. وجدت ترينا أيام الاسبوع بطيئة ومملة. في منتصف الاسبوع استلمت رسالة جوابية من صديقتها ماردا. اخبرتها في بداية الرسالة أنباء سيدني ثم اكملت رسالتها بمزاحها الذي يصعق المستمع اليها قالت:
«اذا كنت لا تستطيعين العيش مع دنيس، فالأفضل ان تتزوجي رئيسك. انه يثير الفضول. الرجال الذين يكرهون الجنس اللطيف يكون ترويضهم ملذاً... ثم لا تنسي أمواله الطائلة يا عزيزتي. لو لم يكن بيرز قد دخل حياتي لطلبت منك أن تعرفيني به. لا. بعد اعادة النظر في طلبي أتراجع لأنني لن اعتدي على ممتلكاتك. لن احطم صداقة دامت دهراً. انت تحتاجين لراحة يا عزيزتي. اذا لم تفوزي بالحب فلا بأس ان تفوزي بالمال. اكتبي لي تفاصيل ما يجري. واذا رغبت بالنصائح والارشادات تعرفين عنواني. افضل الطريق للوصول الى قلبه هو طريق المديح. الرجل يعشق ان يكون مرغوباً».
انتهت ترينا من قراءة الرسالة وسرت بمزاح صديقتها. شعرت انها اشتاقت لها ولنكاتها. تخيلتها تجلس وراء مكتبها تكتب لها هذه الرسالة وعيناها الخضراوان تضحكان. هي حتماً لا تعني كلمة واحدة مما كتبت.
جلست ترينا تجيبها على رسالتها وتصحح لها فكرتها الأولى عن أندرو وتشرح لها تعاونه معها.
القسم الثاني من الاسبوع كان أسرع. حاول رود وجولي التهرب من الدراسة ولكن ترينا تمكنت بصرامتها ان تحبط مسعاهما. وبالرغم من

شدتها بقيا على احترامها ومحبتها وطاعتها. الجمعة عادت الامور طبيعية في الدراسة.

الجمعة مساء، شاهدت ترينا من نافذة غرفة نومها السيارة السوداء تقف في مدخل براكيه ثم نزل منها الشاب الوسيم الطويل الذي كان يقودها ونظر الى أعلى.

تراجعت ترينا الى الوراء بسرعة وقد شعرت بضربات قلبها تسرع بعد أن تأكدت انه لمحها.

حضرت مارغريت، كالاسبوع السابق، تطلب منها ان تشارك رب البيت شرابه قبل العشاء. كان شعورها هذا الاسبوع يختلف. ارتدت ثوبها وتمنت لو جلبت معها المزيد من ثيابها الرسمية. ارتدت ثوبها الأحمر نفسه وهي واثقة ان لونه يناسبها ويليق بها.

ركضت السلالم ثم اجبرت نفسها على التباطؤ بعد ان أحست ان نفسها قد انقطع من سرعتها. سألت نفسها: هل أسف اندرو على معاملته الودودة وتراجع الى داخل نفسه في قوقعة جليدية كما عرفته اول مرة؟ هل عاود الابتسام ولو ببرود؟

تذكرت يوم الأحد الماضي وابتسمت. لقد حضر اندرو الى غرفة التسلية بشخصية مختلفة يحمل كيساً من الحلوى المختلفة للأولاد. اندفع الأولاد اليه وقد تحطم الجليد بينه وبينهم. حين سألته في وقت لاحق أخبرها انه نزل بعد الغداء خصيصاً الى دلشروب وابتاعها لهم.

وبعد العشاء، بدلا من أن تعود ترينا الى غرفتها، اخذها اندرو الى غرفة اخرى حيث استمعا سوياً الى تسجيلات موسيقية من أجهزة قوية واكتشفت انهما يتمتعان بذوق مماثل في الموسيقى. ولم يكن من المعقول انه كان ينظر اليها بازدراء واحتقار في الليلة الماضية وانها كانت تنتظر منه رسالة تحمل طردها من براكيه... والآن يجلسان جلسة شاعرية يستمتعان فيها بسماع الموسيقى الخالدة.

صعدت بعد ذلك الى غرفتها وتأملت ما جرى وابتسمت راضية ونامت وهي لا تزال تبتسم.

هذا الاسبوع كان الأولاد يثرثرون عن «عم اندرو» بدهشة ومحبة. لقد شعروا بالعلاقة الطيبة التي تربطهم به اعترفت جولي ان اندرو رجل طيب

حين يخرج من عزلته... كل ما طلبته منه ترينا نفذه وجاءت نتيجته طيبة للجميع.

تمنت لو تكون عطلة الاسبوع هذه مرضية كالعطلة السابقة. وصلت الى باب الغرفة ونقرت نقراً خفيفاً وللحال فتح اندرو الباب بنفسه.

«تفضلي يا آنسة مربتون».

دخلت. انتظرته وهو يغلق الباب ويشير الى كرسي كي تجلس عليه. كان وجهه الاسمر مبهماً وغامضاً في تعابيره، ولا وجود للابتسام. قدم لها كأساً من شراب الكرز. نظرت اليه شاكرة وابتسم لها بسرعة ابتسامة عريضة اجفلت ترينا وتراجعت.

قال بمكر وقد بدا مسروراً:

«هل تعتقدين انني سأعض من جديد؟».

اعترفت وهي تبتسم له ابتسامة شيطانية وقالت:

«حسناً... نعم».

جلس قربها على كرسي مريح وسألها:

«كيف كان تصرف الأولاد؟».

«تصرف ملائكي احياناً وشيطاني احياناً. لكنهم طائعون دائماً. لم تحاول ان تخفي ضحكتها الشيطانية. يبدو انني كسبت لقباً جديداً، سفينة حربية صغيرة».

«لا استطيع ان انكر ان اللقب يناسبك. ماذا فعلت؟ هل ضربت رؤوسهم ببعضها؟».

«لا. لكنهم كانوا يخافون ان أفعل».

«انك تستحقين هذا اللقب».

ابتسمت ترينا ابتسامتها الشيطانية التي أصبحت تلازمها.

«ولو تعرف ماذا يلقبونك».

امتلأ وجهه عبوساً:

«انه لقب كريه على ما أعتقد».

كتمت ترينا ضحكتها وهي تتذكر لقب الرمز زيوس كبير الرموز عند الاغريق وخاطف الفتيات الجميلات عنوة. قالت:

«حسناً... بعضها مديح والبعض الآخر لا. هذا يتوقف على الوجه

الذي تنظر اليه».

«ماذا؟».

طالب بمعرفة اللقب آمراً ترينا. هزت رأسها غير موافقة.

«لا... لا يمكنني ان اخبرك به الآن. ربما سيخبرك به الأولاد يوماً ما».

عرف اندرو انه لا يستطيع اقناعها بخلاف ذلك. ورضخ للأمر الواقع.

حضرت السيدة جاميسون الى الغرفة لتخبرهما بأن العشاء جاهز. نظرت الى ترينا اولا ثم الى اندرو وقالت:

«لقد وعدت الآنسة مريتون ان ترقص في الحفلة الموسيقية في دلثروب يا سيدي. ألن تحضر الحفلة؟».

سألته بصداقتها القديمة وخدمتها الطويلة في منزله. احست انه عاد الى طبيعته السابقة قبل الحادث.

«طبعاً سأحضرها». ثم نظر الى ترينا وقال: «لقد قيدوك وسجلوك في برنامج الحفلة. اليس كذلك؟».

«هل عندك اي مانع؟».

«طبعاً لا. وقت فراغك هو ملك لك. أردت ان اخبرك في وقت سابق ان لا حاجة لك للبقاء عطلة الاسبوع في براكيه. اذا رغبت في الخروج الى القرية في أي وقت...».

انهى جملته بقليل من العبوس. ولكن ترينا اكدت له ان لا حاجة لذلك لأنها لن تبقى في براكيه اكثر من شهر واحد. وشعرت بالكآبة ايضا لفكرة مغادرة براكيه بعد شهر.

«لقد تكلمت مع عمتك بهذا الشأن وهي تعتقد ان لا بأس في ان أرقص في الحفلة».

«نعم... طبعاً».

اختفى العبوس وحل محله تكشيرة ماكرة.

«ماذا؟ سترقصين. هل ستؤدين رقصة الحرب الهندية؟».

«سأجرب. تعتقد عمتك انني استطيع ان أرقص رقصة سالومي والبراقع السبعة. ستوقظ الجوار بأكمله».

«سأحجز مقعداً في الصفوف الأمامية».

«لقد تغيرت كثيراً».

«ربما استمعت الى محاضرتك الاخلاقية وعملت بنصيحتك».

ابتسم لها متعمداً وهو ينظر اليها عبر الطاولة.

«هل تعرفين انني لا زلت اجهل اسمك الأول؟».

«ترينا».

«هل هو تصغير لاسم آخر؟».

هزت راسها نفياً:

«لا».

«فقط ترينا». اعادها مرة ثانية. «انه يناسبك».

«لماذا؟ هل يذكرك باسم سفينة حربية تدعى ترينا؟».

«أنت عفريتة صغيرة!».

توقف الحديث بعد ان وصل الطعام الأساسي. حين عادا منفردين سألها بمكر:

«كيف تمضين امسياتك وحدك؟».

«اعمل أشياء عديدة... اتحدث مع الأولاد أو مع السيدة جاميسون والسيدة بيري. نشرب الشاي سوية في المطبخ بعد ان ينام الأولاد».

نظرت اليه لترى اذا كان يعارض تصرفاتها. «وبعد نوم الأولاد احياناً اعود الى غرفة التسلية وأتمرن».

سألها:

«تتمرنين؟».

«أقوم بتمارين الرقص وأصحح تمارين الأولاد وأحضر دروس اليوم التالي».

«لن أتهمك بالتهرب من واجبك». ثم أكمل: «متى ستقام الحفلة؟».

«السبت المقبل». ثم سألته: «هل يحضرها العديد من الناس؟».

«الجميع تقريباً.. ودائماً تليها حفلة راقصة كبرى في المساء في منزل باتنغا».

«أوه. لم أكن أعلم أي شيء عن الحفلة».

لم يخبرها احد ان الحفلة الموسيقية تقام بعد الظهر. احتارت. هل ستدعى الى الحفلة الراقصة؟ ام انها تقام فقط للنخبة من السكان؟ منزل باتنغا هو منزل جيرالدين دلوين.

قال كأنه يقرأ أفكارها:

«كل من يحضر الحفلة الموسيقية يذهب الى باتنغا». ثم سألها بمكر وخبث: «هل تتحملين مرافقتي الى الحفلة؟».

«يسرني ان أرافقك».

قبلت على الفور. احمرت وجنتاها خجلا، لم تجرؤ على النظر اليه، في تلك اللحظة وصلت القهوة.

كل شيء قد تغير. حين حضرت الى براكيه لم تعتقد انها ستقبل دعوته لحضور الحفلة، ماذا حصل؟ الوجه الاسمر والعينان السوداوان الباردتان قد تغيرتا ايضا. ساد بعض الصمت وهما يرتشفان قهوتهما. حاولت ان تبدد هذا الصمت. تذكرت انها وعدت جولي ان تعلمها لعبة الشطرنج.

«على فكرة. هل يوجد في البيت علبة شطرنج؟ لا أريد علبة ثمينة. لقد وعدت جولي ان أعلمها هذه اللعبة».

قال مستغرباً ومسروراً:

«وتعلمين الشطرنج ايضا».

هزت ترينا رأسها ايجاباً. سألها بسرور:

«من علّمك؟ هل هو احد الأساتذة او الدكاترة الذين كانوا يدخلون منزل جدك باستمرار؟».

ضحكت ترينا واعترفت له صادقة بأن ما قاله هو الحقيقة.

«عليّ ان اصطحبك في زيارة لصديق لي. أعتقد انك ستحبينه. انه المدير المسؤول لموظفي العلوم في أعمال المدينة».

«يسرني ذلك». وافقته على الفور. «اخبرتني عمتك ان اهتمامك هو في حقل العلوم».

«تقريباً».

قالت ضاحكة:

«ولكنك لاحظت معادلة النسبية حين كتبتها راقصة حمقاء على اللوح».

«هل اخبرتك جيرالدين انني قلت ذلك عنك؟».

قالت ترينا تعتذر:

«اعتقد انها زلة لسان في الحديث».

«ما هذا الحديث الشيق بينكما؟».

«كان حديثاً بناء».

بانت ابتسامة ماكرة لم تستطع ان تخفيها.

ابتسم لها اندرو مجارياً ومشى وإياها الى غرفة ثانية حيث اخرج لها من الخزانة علبة شطرنج ثمينة.

«يمكنك استعمال علبة الشطرنج هذه لتعلّمي جولي... بشرط واحد». قال مبتسماً. «احب ان ألعب معك الشطرنج الآن».

جلست قبالته تلاعبه الشطرنج بمهارة فائقة. مرت السهرة بسرعة. كانت قدرته على اللعب تساوي قدرتها. لو كانت جيرالدين تراقبهما لابتسمت راضية عن الوضع.

لبست ترينا بنطلوناً قصيراً وصندلا مريحاً وخرجت من غرفتها لتشارك الأولاد لعبهم. لم تر اندرو ولم تحاول ان تفتش عنه باسم الصداقة الجديدة التي ولدت بينهما في الليلة الماضية.

قالت جولي ترحب بها:

«مرحباً».

المغطس القديم مكانه وقد جلست لينت وغايل بداخله. انهما الاسبرتان. كل منهما تمسك خشبة طويلة تستعملها كمجذاف.

قالت غايل وهي تكشر عن أسنانها:

«وضعونا في السفينة وساقونا الى عرض البحر».

لقد اختفى اثنان من أسنان الحليب من واجهة فمها. جلس الجرو الصغير ينبح ليطرد القرش الكبير المتعطش للدماء.

سألت ترينا رود:

«من أنت هذا الصباح. السير فرنسيس ام السير هنري؟».

كشر الصبي وقال:

«السير هنري».

«لكن شعرك ليس اشقر. السير هنري من ويلز الانكليزية».

حاول رود ان يستعمل مادة الاوكسجين لصبغ شعره ليصبح اشقر.

عارضت ترينا بسرعة:

«لن تفعل شيئاً من هذا القبيل. ماذا سيقول عمك حين يجد لون شعرك قد اصبح اشقر؟».

«سيبدأ صخبه ووعيده. الرمز زيوس ينفع في دور السير هنري لأن شعره أشقر».

سألت جولي:

«ما لون شعر السير فرنسيس درايك؟». اعترفت ترينا انها تجهل الحقيقة. «ربما هو احمر بلون شعري».

لم يستطع احد ان يجيب عن مصير الاسيرتين اللتين تمخران المحيط. الأمر لا يهم ما دامتا تستطيعان ان تجدفا الى ما لا نهاية في المحيط وضمن البستان. حتى الجرو لم يهتم.

اشتركت ترينا في اللعب. انها الشراع والقوة التي تدفع السفينة وتجرها. بدأت تشد الحبال مع الصغيرتين بينما رود وجولي يتبارزان بالسهام الورقية التي صنعاها الليلة الماضية. كان الجميع منهمكين في أدوارهم حين حضر اندرو الى الحديقة ونظر اليهم مدهوشا.

سأل:

«ماذا حصل؟».

«أنا الشراع». قالت ترينا وقد انقطع نفسها من الاندفاع. «انظر الى السير هنري والسير فرنسيس. احترس لئلا تصيبك قنبلة من مدافعهم».

توقفت السفينة. طار سهم باتجاه ترينا. انحنت فأصاب السهم اندرو في صدره. ضحك وهو ينحني ليلتقط السهم الورقي.

«هل يعني هذا انني غرقت؟». ثم التفت الى الصغيرتين. «ماذا تعملان في المغطس؟».

قالت غابل وقد تبدل دورها للحال:

«نحن السفينة التي تحمل الخزينة والكنز ورود هو القرصان».

«يمكن للعم اندرو ان يقوم بدور القرصان السير هنري أفضل من رود». قالت لينت. «ترينا تقول ان شعر السير هنري أشقر».

نظر اندرو الى ترينا وقد احمر وجهها من جديد وقال:

«هي قالت ذلك. هذا مثير».

«كنا نتكلم عن لون شعر القرصان».

كانت عيناه السوداوان تضحكان بمكر مما جعل نفسها يختنق بصدرها.

سأل اندرو وهو ينظر الى شعر ترينا الأسود اللماع المقصوص فوق رأسها:

«ألم يكن السير هنري مولع باختطاف الفتيات الجميلات الاسبانيات ذوات الشعر الأسود؟».

قالت لينت ببراءة:

«ترينا ليست اسبانية!».

«ولكن شعرها اسود». قالت جولي مسرورة. «ربما تمثل ترينا دور الكنز ويخطفها السير هنري ويطلب فدية لاعادتها».

«لنفعل».

قال اندرو ومشى مكشراً باتجاه ترينا التي خافت وتراجعت الى الوراء بدون وعي. وبلحظة حملها اندرو بين ذراعيه عالياً. صرخ الأولاد ضاحكين يتصايحون من الحماس وبدأ الكلب ينبح مشاركاً بأعلى صوته.

«فرقة الانقاذ! انتظموا».

أمر رود غابل ولينت. خرجتا من المغطس وحملتا المجاذيف فوق كتفيهما كالبنادق.

«سفينة الانقاذ قد تعطل شراعها». قالت جولي مسرورة وراضية. «علينا ان نتراجع بانتظام كي نقوم بالاصلاحات الضرورية».

استغرب رود:

«هيه...؟».

قالت جولي متمتمة:

«لا تكن جامد التفكير».

«حسناً. كم أنا مجنون! تعنين زيوس وترينا؟».

قالت جولي:

«اصمت. ستسمعك الصغيرتان».

«ووب!». صرخ كأنه في ساحة الحرب. «سأسابقك الى المدخل!».

اجابته جولي:

«حسناً».

بدأت جولي تركض الى المدخل الذي يفضي الى البستان وحدائق براكيه في اتجاه معاكس للطريق التي سلكها اندرو وترينا. كان رود يلحق بها وفي اعقابه الكلب ينبح. ولينت وغابل تركضان في المؤخرة كالحرس. ابتعدت الأصوات كلياً عبر المسافة.

وضع اندرو ترينا فوق جدار البركة ووقف امامها ويده على خصره.
«هنا مرفأ رويال؟».
سألته مازحة وهي تغطي حماسها وارتباكها لوجوده قريباً جداً منها.
هز اندرو رأسه موافقاً.
«تخيلي نفسك تحت سيطرتي التامة».
تراجعت ترينا الى الوراء تمثل الخوف وقالت:
«اوه. لقد اخفتني».
«أشك بذلك». عبس وهو يجلس قربها على جدار البركة. «لدي فكرة تجعل السير هنري الشهير يتخلى عن سيطرته»
رفع حاجبيه يساومها.
«اخبريني عن اللقب الذي يطلقه الأولاد عليّ».
«لا!».
قالت ضاحكة وهي تمزح وقد مدت يدها الى الماء في البركة.
«لقب فخم جداً ولن اخبرك به».
«أثرت فضولي».
«لن أتكلم».
«لا؟».
أمسك بها بسرعة وحملها فوق البركة.
«تكلمي والا...!».
هددها. صرخت ترينا صرخة لا شعورية من خوفها ثم بدأت تضحك. بقيت هادئة وتعابير وجهها ساخرة.
«ارم بي في البركة. لا يهمني. لن تكون هذه المرة الأولى التي ألقى بها».
أمسك بها بقسوة.
«انت شيطانة صغيرة!».
كانت متأكدة انه لن يلقي بها في البركة. انه لا يحب هذا المزاح. اعترف لها بعد لحظة بانهزامه ثم وضعها على الأرض ووقف ينظر اليها متعجباً. سألها:
«الا تتراجعين عن عزمك؟».
قالت:

«لا».
كانت تضحك بانتصار ومشت عائدة.
«الى أين تذهبين؟».
«الى الأولاد».
امسك اندرو بها بقوة. احست شعوراً غريباً ومربكاً. تراجعت لا شعوريا لتحل نفسها من قبضته. صدمت بجذع شجرة خلفها ولا تستطيع ان تتحرك. ضحك ضحكة مازحة وهو ينذرها. كان انذاره رقيقاً جعل ضربات قلبها تسرع وشعورها بضعفها يزداد. سألها:
«وماذا عن الفدية؟».
«الفدية!».
ألم تحذرها جيرالدين بالابتعاد عنه. انه خطر. احست بكلمات تختنق في صدرها وهي تنظر اليه. كانت الشمس ترخي سدولها فوق شعره الأشقر، وقد ظهر صدره العاري الأسمر من قبة قميصه الحريرية وتعابير وجهه الصارم لا تلين. تحرك ببطء باتجاهها. انها تشعر برجولته لأول مرة.
«اعتقد اننا اتفقنا على انك سجينتي في مرفأ رويال ولن اتخلى عنك بدون الفدية».
كان صوته هادئاً وتعابير وجهه كلها مرح وعيناه السوداوان تتحدبان. ابعدت ترينا نظرها عنه. كان قد حبسها فوق جذع الشجرة. وحين رفع رأسه ابتسمت له كالشمس المشرقة. كأنهما يلعبان في صباح يوم مشمس. شعورها برفقته لا يضاهيه أي شعور عرفته من قبل ولا حتى مع دنيس.
«عليّ ان اتركك تغادرين مرفأ رويال الآن». قال مازحاً. «انني واثق بأن السير هنري كان سيطلب ثمناً أغلى بكثير كفدية».
أجابته مازحة:
«من حسن حظي انك لست السير هنري».
يسرها ان تدفع له فدية أثمن... ان تدفع له كل حياتها. لن تخذله. انها ليست واثقة من انه يبادلها الشعور نفسه. الدفء يغمرها وسعادتها لا توصف.
ومن بعيد وصلت أصوات الأولاد. لقد عادا الى واقع الحياة من رحلة سحرية.

«حان وقت الغداء. علينا ان نعود».

مشيا سوياً والسحر يلفهما. اصابعه القوية الدافئة تشبك أصابعها لا شعورياً. لقد نسي أن يتركها.

وفي صباح اليوم التالي، يوم الأحد، حضرت جولي راكضة الى غرفة ترينا قبل الفطور. كانت ترينا قد انتهت لفورها من ارتداء ملابسها.

«لقد رأيت أندرو الآن... قال نستطيع ان نذهب للسباحة... بعد الفطور سنذهب بالسيارة... مسافة ساعة واحدة».

قالت ترينا لجولي:

«توقفي قليلا وارتاحي ثم اخبريني القصة».

لقد تسلقت السلالم مسرعة بدون توقف وقد انقطع نفسها. وبعد ان تنفست الهواء من جديد اعادت جولي قصتها:

«واندرو ينتظر. قال لي ان الطقس جيد للسباحة. سألته اذا كان باستطاعتنا ان نأخذ السيارة الصغيرة ونذهب الى الشاطىء. قلت له انك تجيدين قيادة السيارة وسنكون بأمان معك كل النهار».

«شكراً». ابتسمت ترينا وهي تشعر بخيبة أملها. «ولن يأتي معنا اذن».

«طبعاً سيأتي. ولكنك لم تدعيني اكمل حديثي».

«متأسفة. اذن سيأتي؟».

هزت جولي رأسها موافقة:

«سيقودنا بنفسه وسنأخذ سلة طعامنا لنتغدى هناك. لقد ضحك كالمجنون عندما اخبرته اننا نطلق عليه لقب الرمز زيوس».

قالت ترينا آسفة:

«لقد اخبرته ذلك».

«نعم بعد ان سألني». قالت الطفلة الواقعية. «لم استطع الامتناع عن اخباره بعد ان وعد باصطحابنا الى الشاطىء».

«هذا ابتزاز».

«ماذا قلت؟».

«لا شيء مهم. ماذا قال بعد ان توقف عن الضحك؟».

«وعد بأن لا يصرخ علينا ويتوعدنا من جديد. قلت له اننا نحبه اكثر في حالته الجديدة».

ثم مالت جولي برأسها وهي تفكر وقالت:

«هل تعرفين انك كنت على حق عندما ذكرت انه وحيد؟».

سألتها ترينا:

«لماذا؟».

«عندما قلت له اننا نحبه وضع يده حولي وعانقني وأنا بدوري قبلته. احمر قليلا».

احست ترينا بشيء يخنقها. كان عليها ان تخفي وجهها عن جولي. انها مسرورة لأنها استطاعت ان تخرجه من قوقعته ووحدته.

نزل الجميع الى الشاطىء يتصايحون. كانت السماء زرقاء ضاحكة والبحر الأزرق يرحب بهم. انتقوا بقعة نائية على الشاطىء لا يؤمها احد ولا مساكن بالقرب منها. هناك مجال للتزلج فوق الألواح الخشبية. الأمواج المتكسرة على الشاطىء هادئة نسبياً. فك اندرو اللوحين الخشبيين له ولترينا. اعترفت ترينا بأنها تستطيع التزلج فوق اللوح الخشبي.

الشاطىء مهجور تماماً ولا أثر للمستوطنين فيه. السماء والرمال وبعض الصخور. النوارس بأجنحتها البيضاء تدور فوق الشاطىء وتصطاد طعامها من الأسماك. هناك بركة طبيعية من المياه الضحلة تحيط بها الصخور حيث يمكن للصغيرتين السباحة بأمان. تسلم ريد وجولي مسؤولية مراقبة الصغيرتين. لا يمكن لسمك القرش ان يصل الى البركة الطبيعية. تفحص اندرو المكان جيداً قبل ان يعلن ان المكان آمن ولا خطر البتة.

اكتشف اندرو كهفاً بين الصخور. دخلت ترينا تغير ثيابها وتبعها الآخرون بالتناوب. خرجت بثياب السباحة الصفراء وشعرت بنظرات اندرو المتفحصة تتبعها. لم تخجل أو ترتبك لأن جسمها متناسق ورشيق. لقد تلكأ اندرو عمداً ليراقبها. اراد ان يتمعن برشاقتها ولياقتها. كانت تتهادى في مشية مهيبة اكتسبتها من مهنتها كراقصة محترفة. ركضت الى الماء ورمت نفسها وصرخت من البرودة. كان اندرو يضحك خلفها. سبحا لبضع دقائق. ثم جلبا الألواح الخشبية ليتزلجا فوق الأمواج المتكسرة. كانا يراقبان وجود سمك القرش الفتاك. الطقس جميل ولا أثر لوجود هذا الحيوان المفترس. كانت ترينا تقف متوازنة برشاقة فوق اللوح الخشبي

يحملها مع امواجه الى الشاطىء بسرور ومرح. كل شيء حولها مثير. الحركة الرشيقة والسماء الزرقاء ووجود اندرو قربها.

بعد الغداء تشمسا قليلا، ثم عاودا السباحة وكذلك التزلج فوق الألواح الخشبية. حملت ترينا موجة مرتفعة ورفعتها عالياً ورمتها بطريقة قاسية بعد ان صفعتها صفعة قوية قرب صخرة لا تبعد كثيراً عن الشاطىء. مر اندرو قربها وأمسك بها بسرعة من رسغها وبحركة سريعة جذبها الى اللوح الخشبي الذي كان يقف فوقه. قام بعمله بدون أي جهد. شعرت بقوته وقدرته على حمايتها.

نزل اندرو برفقتها ليرتاح وإياها فوق صخرة قريبة من الشاطىء. رجل لوحته الشمس كأنه قد أمضى أياماً سابقة على الشاطىء. فتاة صغيرة رشيقة ومتناسقة. جدائلها مبللة تلمع فوق رأسها كأنها قمة. جلدها العاجي لم تلوحه الشمس بعد.

أبعدت ترينا نظرها عنه وهي ترى ابتسامة غريبة تعلو شفتيه. تمددت فوق الصخرة الدافئة وأغلقت عينيها من نور الشمس الوهاج. قال اندرو بصوت منخفض:

«يبدو عليك التعب».

«كأنني نبتة من أعشاب البحر؟».

ابتسمت. فتحت عينيها. هناك ما يزعجها في نظراته. ابعدت نظرها عنه وتظاهرت بأنها مهتمة بالنوارس فوقها. سألته:

«انه النورس الفضي أليس كذلك؟».

«هناك العديد منها حول الشاطىء».

«هل صحيح ان هناك نوعين من النوارس فقط في استراليا؟».

هز كتفيه بدون اكتراث وأجاب:

«ربما».

«قيل لي ان نورس الباسفيك هو النوع الآخر. انه يملك منقاراً اسود وأصفر».

عبس اندرو ولم يخف نزقه وقد رقص الشيطان في عينيه السوداوين:

«كفى ثرثرة».

«أنا لا أثرثر». تراجعت بكبرياء. «واعتقد انها طيور جميلة. انا احب

النوارس».

رفع نفسه قليلا ونظر اليها. تحملته ترينا قليلا ولكن نظراته المحدقة أصبحت لا تطاق. وقفت على الفور تستعد للسباحة.

كان صوته الرقيق ينساب بكسل وهو يقول:

«الى أين تهربين؟».

نظرت اليه وجهاً لوجه وقالت:

«هل تأمل في ان تلعب من جديد دور السير هنري؟».

«هل لديك أي مانع؟».

«سؤالك تصعب الاجابة عليه».

«لماذا؟».

«حتى لو كان لدي مانع عليّ ان أجيب بالعكس».

«ولماذا؟».

«ان الطريقة الحديثة في العلاقات اصبحت لا تعطي العناق أهمية كبرى». قالت بجدية. «وجدتي كانت دائماً تقول لي ان الفتاة التي تسمح بعناقها بسهولة تجد نفسها رخيصة في النهاية».

وقف اندرو على رجليه وبدا جاداً وكسى وجهه بعض العبوس وقال بحدة:

«لا احد يعتقد انك رخيصة. هل فهمت تصرفي معك البارحة على هذا النحو؟ أنا آسف. انا لا اعتقد انك رخيصة ولن أعتقد ذلك ابداً».

«أفهم ما حصل...».

«أنا أشعر انني مدين لك بالكثير». مد يده فوق الندبة يتلمسها وهو يبتسم. «كنت سأتركها تدمر كل حياتي».

«أنا مسرورة لأنني استطعت ان أساعد». ضحكت وقالت بتحدٍّ:

«سأسابقك الى الشاطىء».

قفزت من فوق الصخرة برشاقة ولحق بها اندرو. وصل قبلها الى الشاطىء، كانت عيناه تتراقصان وتضحكان بسرور. عرفت ترينا ان وجود الأولاد قربها هو الذي منعه من عناقها بعد ان انتصر في السباق. انها تحب أولاد كامبل كثيراً، ولكنها في تلك اللحظة تمنت ان يكونوا في مكان آخر بعيدين عنها.

٥- السعادة... هل تدوم؟

مر الاسبوع بطيئاً لا يحتمل. كانت ترينا تجد نفسها كل ليلة تنظر من نافذة غرفتها تبحث عن وصول سيارة سوداء الى مدخل المنزل. وتتأمل أن يحضر اندرو قبل يوم الجمعة كعادته. ولكن الكآبة غمرتها مساء يوم الجمعة حين لم يحضر وبقيت تنتظر وصوله بدون كلل ولكن أملها خاب. نزلت صباح السبت لتتناول فطورها وأخبرتها السيدة جاميسون بطريقة عفوية انه اتصل بها هاتفياً البارحة مساء وأعلمها انه لن يحضر في عطلة الاسبوع بسبب بعض الأعمال. شعرت ترينا كأنها تلقت صفعة قوية على وجهها وان فطورها لا طعم له. وتذكرت سرورها برفقته في عطلة الاسبوع السابق.

صعدت ترينا بعد الفطور الى غرفتها. بدأت تفكر في أسباب غياب اندرو. هل تعمّد عدم الحضور هذا الاسبوع؟ ربما يريد أن يخبرها أن لا شيء يربطها... يجب عليها ان تتقبل الأمر الواقع ببساطة. وأن تحكّم عقلها في هذا الامر وليس قلبها واحساسها. الكآبة تتسرب الى نفسها بدون ارادتها. غيرت ثيابها ولبست بنطلوناً قصيراً وانضمت الى الأولاد تشاركهم لعبهم في الحديقة البرية.

حيّتها جولي وهي تبتسم ابتسامة عريضة:

«مرحباً. لماذا لم يحضر اندرو هذا الاسبوع؟».

«أنا لا أعرف. هل تفتقدينه؟».

عبست جولي كما يفعل الراشدون:

«شعور غريب. نعم انني افتقده. لقد تغير في الفترة الاخيرة وأصبح

شخصاً مختلفاً. اتمنى ان لا يعود لسابق عهده في العبوس».

وهذا ما كانت تتمناه ترينا ايضا. هل حصل ما أزعجه؟ هل سيعود لسابق عهده؟ هل سترى من جديد نظرته الباردة المحتقرة والقساوة في تعابير وجهه؟ سيكون ذلك رهيباً. عليها ان تغادر ملعب الأولاد سريعاً حتى لا يلاحظوا كآبتها وحزنها. وصلت متثاقلة الى غرفتها، عليها ان تفعل أي شيء لتشغل نفسها وتبعد تفكيرها عنه. دخلت الحمام تغتسل. غسلت شعرها الطويل الاسود وتركت الكتلة السوداء اللماعة تنساب كالحرير فوق ظهرها وتصل الى خصرها. خرجت الى الحديقة لتجلس تحت أشعة الشمس تجفف شعرها. سلكت الى البركة طريقاً جانبية حتى لا تلتقي الأولاد. تريد الابتعاد عنهم والانفراد بتفكيرها. جلست على حافة حائط البركة وبدأت تستعيد ذكريات الاسبوع الماضي برفقة اندرو. تذكرت تهديده بأن يرميها بالماء... وبدلا من ذلك عانقها. كان يريد فدية لكونها سجينته. تنهدت.

لماذا لم يعد هذا الاسبوع؟ فكرت من جديد. بدأت تمر بأصابعها خلال خصلات شعرها ليتمكن النسيم من اختراق الكتلة الكثيفة من شعرها الحريري. لماذا لم يعد هذا الاسبوع؟

جلست تفكر طويلا. الوقت يمر بطيئاً. شعرها الناعم جف وبدأت خصلاته تتطاير في الهواء. قامت تتحرك من مجلسها وأحست ان أعضاءها قد يبست من كثرة بقائها في مجلسها بدون أية حركة. تنهدت ومدت أصابعها الى شعرها في محاولة لترتيب خصلاته المبعثرة تريد تجديله. احست بيدين قويتين تمسكان بأصابعها. أمرها بصوته الأجش:

«اتركيه».

نظرت خلفها مذعورة ووقفت لدهشتها وقد اتسعت مقلتاها من المفاجأة.

«اندرو!».

نظر اليها بعمق. استسلمت تلقائياً لعناقه. في هذه اللحظة بالذات عرفت ان شعورها نحو دنيس يختلف تماماً عما تشعر به اليوم نحو اندرو. شعورها مع دنيس شعور الافتتان وليس الحب. لم يبق أي شك في داخلها بأنها تحبه... تحبه... تحبه!

قال اندرو مازحاً:
«سيبحر السير هنري من جديد». صوته دافىء وشعاع يلمع في عينيه. «ويصر ان تدفعي كل حياتك فدية له». جذبها اليه وضمها. «هل تتحملين الزواج مني؟».
«اندرو... يا حبيبي!».
كان جوابها كافياً. لقد اختنق صوتها وغابت الكلمات عنها. أغلقت عينيها وأحست نبضها يضرب بسرعة. دفن اندرو رأسه بين طيات شعرها الحريري. كانت تضحك بصوت مبحوح ولا تصدق كل هذه السعادة التي غمرتها. سألته بعد ان هدأ روعها من المفاجأة السارة:
«لماذا لم تحضر الليلة الماضية؟».
عبس اندرو قليلا وشدّ ذراعيه حول كتفيها وهو يجلس قربها فوق حافة البركة.
قال ببطء:
«شيء أخجل منه الآن، توصلت خلال ايام الاسبوع لمعرفة حقيقة شعوري وما حصل لي... لم أكن أرغب في الوقوع مرة جديدة في الحب. رغبت في العودة الى براكيه يوم الاثنين... وخفت من رؤيتك من جديد. انا سعيد يا حبيبتي لأنك لم تشاهديني على تلك الحالة خلال الأيام القليلة الماضية. كنت لا احتمل، استغرب موظفو المكتب تصرفاتي الجديدة وحاولت ان اقنع نفسي بأنني لا أحبك وبأنني لو ابتعدت عن طريقك سأنساك... ولكنني فشلت».
تمتمت بصوت منخفض:
«لهذا السبب لم تحضر الليلة الماضية اذن». كانت خائفة على سعادتها من الضياع. «وكنت لن تحضر الاسبوع التالي أليس كذلك؟».
عملها في براكيه ينتهي الاسبوع المقبل وسترحل الى الأبد. لقد مر الشهر الذي تعاقدت للعمل فيه في براكيه.
«ولكني اكتشفت انني لن استطيع ان أحارب حبي أكثر. كانت الليلة الماضية أسوأ أيام عمري كلها. وجدت بالنهاية ان عليّ ان أحضر حتى لا أخسرك وتختفين من حياتي الى الأبد».
لم تفه ترينا بكلمة. وضعت يديها بين يديه بمحبة، انها تفهم حالته

النفسية تماما. ثقته بالنساء لا تزال مزعزعة. هنالك بعض الشك اللاشعوري داخل نفسه من تأثير ردة فعل جنيفر نحوه، انه يحبها كثيراً ولكنه يخاف ان تجرحه. حاول ان ينساها ولكنه وجد انه سيتألم أكثر لو تركها تختفي كلياً من حياته، الندبات الخفية في نفسه لا تزال موجودة، وتحتاج ترينا لوقت أطول كي تتمكن بحبها ان تمحو آثارها تماماً من نفسه. انه كالطفل، اذا جرح مرة يخاف ان تتكرر العملية... وهو واثق انها تبادله حبه وحبها سيقوى على كل الصعاب.
بعد ان عادا الى المنزل اتصل اندرو بعمته جيرالدين هاتفياً ليخبرها النبأ. كانت في الخارج. وتبين لهما فيما بعد انها في طريقها الى براكيه. استقبلتها ترينا مهللة حين دخلت القاعة. ركضت لملاقاتها بفرح.
قالت جيرالدين:
«تبدو الفرحة في عينيك هذا المساء».
«هكذا أنا دائماً».
«ولكنك تشعين سعادة».
سألتها جيرالدين:
«هل أصبح حبيبك الشاب حراً ليتزوج بك؟».
«لقد نسيته وهو لا يعني لي شيئاً». قالت وهي تحتقر نفسها لأنها عرفت دنيس في حياتها الماضية. «انا لم أفكر فيه منذ زمن بعيد».
اتسعت عينا جيرالدين فجأة من الاستغراب سألتها مذهولة:
«يا الهي! انه ليس... اندرو؟».
قالت ترينا ببرود:
«انت لا تمانعين؟».
ظهر اندرو في تلك اللحظة. دخل القاعة وهو ينظر من خطيبته الى عمته:
«هل اخبرتك ترينا الأنباء السعيدة؟».
جالت جيرالدين بين ترينا وأندرو كأنها مذهولة ثم فهمت القصة التي كانت ترينا تحاول اخبارها اياها. فبان السرور على وجهها. قالت تخاطب ترينا:
«انها اجمل مفاجأة وقد حان الوقت ليمسك احد بيده بمحبة».

كشر اندرو بمكر:

«انتظر ان تسيطر عليّ زوجتي سيطرة تامة». قال ببطء وكسل «هل تعرفين ان الأولاد يلقبونها بالسفينة المحاربة الصغيرة؟».

«مما يؤكد ان الروح هي المهمة وليس الحجم». قالت جيرالدين ضاحكة «اعمل جهدك لرعايتها افضل رعاية». ثم مالت الى ترينا وقالت «لا يجوز ان يبقى الزوج هو المسيطر في العلاقات الزوجية».

قالت ترينا:

«اعتقد انه يستطيع ان يعتني بنفسه جيداً».

دخلوا غرفة تشرف على المدخل. تبادلوا التهاني والشراب والأنخاب. ضحكوا وتمنوا نهاية سعيدة للخطبة الميمونة. نظرت جيرالدين الى ترينا مستفسرة:

«ماذا ستفعلين عندما يذهب الأولاد الى المدرسة؟ هل ستعودين الى سيدني؟».

قال اندرو معترضاً على الفور وقد بدا مسيطراً ومتملكاً:

«بالطبع لا».

نظرت اليه جيرالدين نظرة عاتبة كأنها لا توافق على سطوته المبكرة. اقترحت:

«أعتقد ان من الأفضل لها ان تنتقل لتعيش معي».

«شكراً...».

بدأت ترينا جملتها ولكن أندرو قاطعها قائلا:

«ولماذا؟ انها ستعيش معي في براكيه. المنزل يعج بالمرافقين».

«لا شك بذلك. ولكن منزلك منزل عازب. من الأفضل لو تعيش معي في باتنغا. وهذا طبعاً عائد الى ترينا ورغبتها».

وافقت ترينا قائلة:

«احب ذلك. عمتك على حق. من الأفضل ان اعيش معها».

«منزلي لا يبعد كثيراً عن براكيه». قالت جيرالدين ضاحكة «ستزورها متى شئت. ثم علينا ان نتشاور سوية من اجل جهاز العروس».

ضحك اندرو فجأة وقال:

«اذا رافقتها لشراء جهاز العروس تأكدي من شرائها ثياب نوم حالمة».

«اندرو».

قالت ترينا وقد شعرت بحمرة الخجل تكسو وجهها. كانت نظراته عابثة ومرحة وتعني اكثر بكثير مما افصحت عنه الكلمات.

«انه يتعمد ان يخجلك». قالت جيرالدين ترطب الجو. «اضربي ساقه برجلك ليصمت».

فعلت ترينا ذلك من تحت الطاولة وبقوة. قال بلطف يتوعدها بالعقاب عندما يخلو له الجو.

«ايتها العفريتة الصغيرة!».

ضحكت ترينا وهي تتذكر عقابه. كانت تصلي بقلبها تشكر الله على السعادة التي غمرتها. كم يبدو غريباً الآن ان تقع في غرام الشاب العابس البارد والصلب الذي التقته أول يوم وصلت فيه الى براكيه. كم شعرت نحوه يومئذ بالكراهية والعداوة والبغضاء... وكيف انقلب كل ذلك الشعور الى حب. كم يختلف شعورها نحوه عن شعورها الطائش لدنيس.

كان اندرو يتكلم مع عمته. تركت ترينا نفسها على سجيتها وهي تتفحصه. وجهه الأسمر وفمه الصلب... كيف تغير؟ لقد استطاعت ان تحدث تغييراً كبيراً في شكله في وقت قصير. نظر اليها اندرو في تلك اللحظة. التقت نظراتها المليئة بالمعاني والحب. كانت جيرالدين تراقبهما بتكتم وهي ايضا تقدم صلاتها الصامتة لأنها منذ البداية عرفت ان هذه الفتاة تناسب اندرو. حين عادت الى بيتها كانت تشعر بالسرور العميق وراحة البال لأنها تركت وراءها شابين تغمرهما السعادة. بعد ان غابت سيارة جيرالدين عن النظر شعرت ترينا بذراع اندرو تلفها. أدارها حوله في الغرفة ونظر اليها وجهاً لوجه وانحنى قليلا وهو يبتسم. كانت نظراته الشيطانية تنذرها والسعادة ترقص في عينيه السوداوين.

«العقاب؟».

ضحكت ترينا وتظاهرت بالابتعاد عنه.

أجابها:

«نعم انه العقاب يا عفريتتي الصغيرة».

ثم امسك بها بسرعة وهي تتنهد بسرور وسعادة. تمتم وهو يترجاها بصوت أجش.

«لن تصري على خطوبة طويلة؟».

تمتمت وهي تبتسم:

«ستضربني ان فعلت».

«سأضربك ضرباً مبرحاً حتى لا يبقى على موتك الا القليل».

أجابها بصوت مازح كله حنان وعاطفة.

«آه يا حبيبي. . . !».

أبعدها قليلا عنه وأبقى ذراعيه حول كتفيها وجلس قربها على الأريكة تحت النافذة.

«علينا ان نتكلم بجدية».

نظرت اليه ترينا وقد اتسعت عيناها الزرقاوان وبدا الحزن الخفيف يطل منهما.

«لا تنظري الي هكذا والا أعدت الكرة».

«من يريد ان يكون جاداً الآن؟».

قال مازحاً:

«احسني التصرف وأطيعي سيدك».

قالت ترينا وهي تتظاهر بأنها نعجة مطيعة:

«نعم يا مولاي».

«أنت طفلة مزعجة». أجابها. «أريد ان أبحث مسألة سكننا».

سألته باستغراب:

«ألن نعيش هنا في براكيه؟».

«وماذا عن مهنتك؟».

«سأتخلى عنها بالطبع». اتسعت عيناها. «وهل تقصد انك ستسمح لي بمزاولتها بعد الزواج؟».

«لقد قلت لي سابقاً انها تعني لك الكثير».

قالت ترينا صادقة:

«كان هذا قبل ان ألقاك وأحبك».

«شكراً يا حبيبتي». قال اندرو بهدوء. «واذا غيّرت رأيك يوماً ما اخبريني. يمكننا ان نعيش في الشقة في سيدني ونحضر الى براكيه في العطل ونهاية الأسبوع».

«لم أكن اعتقد انك متفهم لهذا الأمر».

«وهل اعتقدت انني سأخفيك خلف حجاب؟».

كانت ابتسامته فيها مضايقة مفتعلة ولكنه جاد فيما يقول.

«لا أعتقد انه يحق للرجل ان يمنع زوجته من ممارسة مهنة تحبها وتستطيع ان تعطي العالم شيئاً خالداً».

ران صمت غريب ثقيل. احست ترينا برجاحة تفكيره. كانت تنتظر من اندرو ان يكون انانياً في حبه ويتطلب تفرغها الكامل له وكانت هي مستعدة للتضحية بكل شيء في سبيله. لقد صعقها بكرمه وأخلاقه ورجاحة عقله.

«ليس لدي اي شيء مهم أعطيه للعالم. لن أصبح راقصة أولى. اعرف انني استطيع النجاح في مهنتي كراقصة. . . ولكنني سأظل في الصف الثاني. لست واهمة من مقدرتي. انا احب الرقص كثيراً وزواجي لن يمنعني من الرقص». بدت على وجهها ابتسامة شيطانية ماكرة. «حين اشعر بالرغبة في الرقص استطيع دائماً ان أؤدي رقصة الحرب الهندية في غرفة التسلية».

غمر اندرو الشعور بالارتياح.

«لم ارك معلمة مدرسة يومئذ». ثم أضاف «لقد جن جنوني».

«منظرك كان يشير الى ذلك».

تجولا سوية في الحديقة. كانا يتكلمان همساً كالعشاق وهما ينظران لبعضهما:

«عندما رأيتك جالسة وشعرك الأسود الحريري يلفك. . . لا شيء أبداً يشبه تلك الكتلة الجليدية البشرية الصغيرة التي رأيتها أول مرة. لم استطع الانتظار».

«أنا مسرورة لأنك لم تنتظر».

وصلا الى البركة وجلسا جنباً الى جنب فوق حافتها. وصل طائر صغير ذو ذنب طويل جداً وحط قربها قليلا ثم طار من جديد وقد فرد جناحيه في دفء الشمس يفتش لنفسه عن صديقة تشاركه حبه. ابتسمت ترينا وهي تراقبه. العالم سعيد كله اليوم. لا شيء حولها ينذرها بالغيمة السوداء التي كانت تنتظرها في الأفق.

لم يعد اندرو الى سيدني في ذلك الاسبوع. قام برحلة في السيارة برفقة ترينا الى ميونا حيث يشاد المصنع الجديد. عندما سينتهي المصنع هنا لن يسكن سيدني خلال الاسبوع. سيعين مديراً عاماً للمصنع في سيدني ويتولى هو بنفسه ادارة المصنع الجديد وسيعيش كل الوقت في براكيه. لقد راودته هذه الفكرة منذ فترة.

هذا الترتيب يناسبها. سيدني ليست بعيدة حين يرغبان في زيارة العاصمة. انتهى الاسبوع بهدوء. يوم الجمعة نزلت ترينا برفقة اندرو من جديد الى ميونا. كانت في طريقها الى سيدني. ستركب القطار بينما يمضي هو نهاره في تصريف بعض أعماله وسينتظر عودتها في المساء بالقطار ايضا. انها تحتاج لفستان جديد للحفلة الساهرة التي ستقام يوم السبت بعد الحفلة الموسيقية. فكرت ان تطلب من ماردا ان ترسل لها الثوب المخمل الأصفر لترتديه في الحفلة الساهرة ولكنها عدلت عن فكرتها. ان المناسبة هامة في حياتها. ستعلن خطوبتها رسمياً ولا بد لها من شراء ثوب جديد للمناسبة وقررت ان تشتري افخم ثوب تجده حتى لو كانت مادياتها لا تسمح لها بالبذخ. فالانظار ستكون مركزة على الفتاة التي اختارها اندرو شريكة لحياته. هو رجل معروف في وسطه وهناك العديد من الناس ينتظرون التعرف اليها.

بدأ القطار يتحرك. شعرت ترينا بانقباض وهي تفكر لو انها ستغادر المكان بدون رجعة او انها لن ترى اندرو من جديد. لقد انتهى هذا الاسبوع عملها في براكيه وكان عليها ان تغادر نهائياً... انها ستغادر اليوم لتعود في المساء. ستعود لتعيش مع جيرالدين، لقد هدد اندرو عمته بأنه سيكون على عتبة المنزل يومياً.

كانت ماردا تنتظرها في المحطة الرئيسية في سيدني. كيف ستكون ردة فعلها لأنباء خطوبتها. وهي لم تخبرها بعد، لقد كتبت لها تقول انها قادمة الى سيدني لتشتري فستاناً من اجل مناسبة خاصة ولم تذكر لها الأسباب.

كانت ماردا تنتظرها في المحطة خلف الحاجز وقد كست وجهها بالأصباغ الكثيفة من أدوات التجميل.

«مشاركتك منزل التنين تناسبك». ثم كشرت «هل كنت تعيشين معه».

ضحكت ترينا كثيراً مما زاد النظرات الماكرة في وجه صديقتها.

«حسناً... اخبريني الحقيقة. هل كنت تعيشين معه يا عزيزتي؟».

«لا. ولكنني صممت على ذلك». قالت ترينا بسرعة وقد رقصت عيناها فرحاً ومرحاً. «نحن مخطوبان».

صرخت ماردا:

«ماذا؟».

أحست ترينا ان ماردا قد فقدت توازنها ولكنها وبسرعة استعادت شيطنتها من جديد وقالت:

«اذن. عملت بنصيحة عمتك ماردا. تهانينا!».

كانت ماردا صادقة بتهنئتها وألحت عليها بسرد التفاصيل. ثم نظرت اليها نظرة تساؤل وفهمت ترينا بسرعة ما قصدته وقالت:

«لا. انني لا أهرب من دنيس». ثم لان صوتها. «بل احب اندرو كثيراً».

لم تعلق ماردا على أقوالها ولكنها شدت على ذراع صديقتها قليلا كأنها تقول لها: انني افهم وضعك لأنني اعرف طعم الحب الحقيقي.

«لنذهب ونشتري فستان الأحلام. اذن هو فستان الخطوبة».

«تقريباً».

ثم اخبرتها عن الحفلة الموسيقية واشتراكها بالبرنامج برقصة قصيرة والحفلة الساهرة التي ستليها والتي سترافق اندرو اليها.

تجولتا سوية بالأسواق واستعرضتا جميع الواجهات والمعروضات قبل ان تتوصلا الى ضالتهما. وأخيراً وجدتا الفستان البديع. كان مصنوعاً من المخمل الأحمر القرمزي. تنورته فضفاضة طويلة وقبته مفتوحة محلاة باللؤلؤ الاصطناعي ويكشف كثيراً عن الرقبة والكتفين. بعد ذلك دخلتا الى مقهى صغير حيث تناولتا طعام الغداء وهما تثرثران ابتهاجاً وسعادة.

كانت ترينا تتكلم عن اندرو بشكل عفوي وطبيعي كأية خطيبة تتكلم عن خطيبها وفارس احلامها وتنظر الى العالم من حولها نظرة وردية متفائلة.

قالت ماردا تضايقها:

«لقد غرقت في الحب لأذنيك».

«واعتقد ذلك وأشك بأنني استطيع ان أنسى اندرو كما نسيت دنيس».

هذه المرة الشيء يختلف تماماً. انه الحب الحقيقي».

«هل اخبرت اندرو عن دنيس؟».

«لا . . . لم أذكره له اطلاقاً. هل كان عليّ ان اخبره؟».

«لا اعتقد. لا لزوم لذلك لأنك انتهيت منه الى الأبد».

كانت ترينا تفكر لو سألها اندرو اذا احبت شخصاً قبله ستكون صادقة. ستخبره بطريقة عابرة. جيرالدين تعرف حقيقة علاقتها بدنيس ولكنها لن تخبر اندرو. ربما يعتقد اندرو انها اخفت الحقيقة عنه عمداً! لا . . . هي لن تخفي عنه أي شيء من الممكن ان يسبب لحياتها الزوجية اي ازعاج في المستقبل.

افترقت ترينا وماردا بعد الغداء، كانت ماردا على موعد هام من أجل العمل ولا تستطيع تأجيله. وذهبت ترينا لمقابلة المسؤول عن فرقة الباليه الدولية لتعلمه عزمها التخلي عن مهنة الرقص بعد زواجها.

انتهت ترينا من تصريف هذا العمل ومشت باتجاه محطة القطار في طريق العودة الى ميونا حيث ينتظرها اندرو. فجأة سمعت صوتاً يناديها. تسمرت في مكانها وهي تسمع دنيس. نعم هو الشاب الوسيم بشعره الأسود الفاحم وعينيه الزرقاوين. لقد امتلأ وجهه قليلا وأصبح يشبه ممثل سينما معروف.

قالت:

«دنيس!».

كانت تتمتم بغيظ. المفاجأة غير سارة بالنسبة اليها. لم تتوقع ان تلتقيه اليوم. فدنيس أبعد ما يكون عن تفكيرها.

قال وهو ينظر اليها نظرة اعتداد بالنفس وانتصار وقد بدا مغروراً اكثر منه وسيماً:

«لم تنسي اسمي!».

«لن استطيع الا بجهد كبير». ثم أكملت بتحدٍّ. «خصوصاً لأنك قلبت حياتي رأساً على عقب في فترة من الزمن».

«فقط لفترة . . .».

ضحك ضحكة كبيرة هازئة ثم تبدلت الى عبوس وهو ينظر الى الجموع حولها.

«لا يمكننا ان نتكلم هنا. أعرف مكاناً صغيراً قريباً من هنا نستطيع ان

نتناول فنجان قهوة ونتحدث».

كانت على وشك ان تعتذر له ولكنها قررت ان ترافقه لتضع حداً قاطعاً لعلاقتها. ربما يكف عن ازعاجها او الاتصال بها بعد ان تخبره بأمر خطوبتها. جلسا متقابلين حول طاولة صغيرة. كان دنيس يبتسم ابتسامة نكراء سألها:

«لماذا هربت مني؟ اتصلت أسأل عنك في المنزل ولكن صديقتك المرعبة لم تساعدني ولم ترض ان تعطيني عنوانك لأكتب لك».

«أنا طلبت منها ذلك».

كانت تنظر اليه مستغربة انها في يوم من الأيام تخيلت انها تحبه. كم هو مغرور. الجميع يؤكد وسامته والشبه الكبير بينه وبين احد نجوم السينما ولكنه بلا أخلاق على عكس اندرو الذي يجمع الجاذبية والوسامة والأخلاق وروح النكتة والحضور. ضحكت وهي تتذكر ساعة سجنها في مرفأ رويال. ابتسمت ترينا لذكرياتها الجميلة وظن دنيس انها تبتسم له. وضع يده فوق يدها على الطاولة متودداً.

«كان جنون منك ان تهربي». قال بلطف. «ان قدرنا واحد ولا بد ان يجمعنا».

سحبت ترينا يدها بكبرياء.

«لو كان بارادتي فلن التقيك بعد اليوم».

«كيف؟».

«نعم. كل ما أريد قوله قلته لك آخر مرة التقينا».

«نسيت ان تقولي اننا لا نستطيع ان نعيش بعيدين عن بعض».

«أؤكد لك انني أستطيع ان اعيش بدونك». قالت ببرودة اعصاب لأن غروره بدأ يزعجها. «وأنا مخطوبة وسأتزوج عما قريب».

سرّها كثيراً ان تراه مصعوقاً من المفاجأة.

«لا أصدق!».

«انها الحقيقة. لم ألبس خاتم الخطوبة بعد. خطوبتنا الرسمية ستعلن مساء السبت، غداً».

«لن ادعك تفعلين ذلك. أنت ملك لي».

قالت بصرامة وتحدٍّ:

«أنا لست ملكاً لك... ليس بعد اليوم». ثم سحبت يدها بسرعة ووقفت خارجة. «لآخر مرة أقول لك. انا لا املك لك ذرة من الشعور سوى الاحتقار والازدراء. انا احب الشاب الذي سأتزوجه. لا تحاول الاتصال بي بعد اليوم».

تركته ومشت كانت الخادمة التي تحمل صينية القهوة لهما قد حضرت. نظرت ترينا خلفها ورأته يرسل الخادمة على اعقابها بالقهوة ويلحق بها. كان عليه ان يدفع ثمن القهوة التي لم يتسن لهما ان يشرباها. أسرعت واختفت عن نظره داخل مخزن كبير متعدد المداخل، لقد عيل صبرها من وجوده قربها وندمت لأنها رضيت ان ترافقه. لقد أزعجها اكثر مما تصورت. كان من السهل عليها ان تضيعه داخل المخزن. وحين خرجت من باب آخر يفضي الى شارع آخر لم تر له اي اثر. وصلت المحطة وهي تفكر، حين تتحرك العواطف لأول مرة يصعب على الرجل او المرأة ان يتعرف على حقيقة هذه المشاعر الجديدة. احياناً تختلط الأحاسيس ويعتقد الانسان ان ما يشعر به هو الحب. ولكنه يكتشف انه ليس حباً بل افتتاناً. وهذا ما عرفته مع دنيس. كم هي سعيدة الحظ لأنه لم يكن حراً والا لكانت تزوجته وبعد ذلك اكتشفت انها قد خدعت بحب وهمي.

كان اندرو ينتظرها حين وصلت الى محطة القطار في ميونا. رفضت ترينا باصرار ان تريه ثوبها الجديد الذي ابتاعته لمناسبة الخطوبة لقد غمرها بحبه وعاد واياها الى براكيه والسعادة ترافقهما. مر صباح السبت ببطء. الحفلة الموسيقية بعد الظهر والكل بانتظارها. اختارت ترينا ان ترقص رقصة العصفور الأزرق. احست وهي ترقص انها تعيش دورها. سعادتها الداخلية جعلتها تقفز بمرح كأنها تفرد جناحيها لتغمر العالم كله بالمحبة وكل من حضر الحفلة اكد نجاحها المنقطع النظير.

بعد الحفلة عادت ترينا والأولاد بصحبة اندرو الى براكيه. كان الأولاد معجبين بها اعجاباً خالصاً. صعدت غرفتها ولبست ثوبها الجديد ونزلت الى مكتب اندرو، المكان الذي كان محرماً عليها دخوله سابقاً بدون دعوة خاصة من رب البيت. ابتسم اندرو بمحبة وهو ينظر اليها. كان فخره بها كبيراً فهي ملكه. اعجابه يشع بريقاً من عينيه السوداوين. مشى لا شعورياً نحوها ثم امسك بكتفيها العاريتين وتساءل بمكر وعبث.

«هل يتجعد الفستان بسهولة؟».

«قيل لي انه مضمون ضد التجعد ولكنني لا أصدق أقوال الآخرين».

«أوافقك الرأي. علينا ان نجرب بأنفسنا لنتأكد من هذا القول».

ثم جذبها الى ذراعيه بحنان.

ركبا السيارة وذهبا الى باتنغا. التقتهما جيرالدين في القاعة. كانت ترتدي ثوباً رمادياً من الحرير الشفاف الذي يناسب شكلها ونضوجها.

«انتما كعصفورين يطيران في الهواء».

قالت جيرالدين ترحب بهما. ضحكت ترينا ونظرت الى حذائها ذي الكعب العالي وقالت مازحة:

«لا استطيع ان أرى الأرض من فوق!».

بدأت الموسيقى تعزف. حمل اندرو ترينا الى حلبة الرقص. انهما منسجمان حتى في رقصهما.

تمتم اندرو:

«انت خفيفة كريشة».

اجابته:

«هل يمكنك ان تتصور راقصة باليه ضخمة؟».

كان عليها ان تمزح والا لاختنقت من سعادتها. انها تشعر بأحاسيس عارمة لدرجة تحس معها ان دموعها ستنهمر، دموع الفرح والسعادة. أخذها اندرو بعد الرقص ليعرفها الى صديقه الذي وصل مؤخراً. انه رئيس فريق العلماء في مصنعه. ثيابه الرسمية بغير انتظام وشروده ظاهر للعيان قالت ترينا:

«لقد عرفتك قبل ان يعرفك الي اندرو».

قال مازحاً:

«هل يوحي شكلي بأن عقلي بعيد وفي مكان آخر؟».

قالت ترينا:

«لا. ولكنني احسست بجو علمي حولي».

قال اندرو يضايقها:

«لقد عاشت مع الأساتذة والدكاترة حولها في البيت».

«مريتون؟». حاول ان يتذكر. «اعرف بول مريتون. هل هناك

قرابة؟».
قالت ترينا:
«كان جدي».
«آه. انه رجل ممتاز وعالم كبير. لقد قرأت تقريره عن تجزئة الطاقة النووية».
ثم بدأ يلقي محاضرة تقنية وشاركته ترينا وأندرو فيها. حضرت جيرالدين على الفور ووضعت حداً لهذه المناقشة.
«كفى. ليس الوقت مناسباً لصنع قنبلة ذرية».
قال مدير موظفي دائرة العلوم في مؤسسة دلوين:
«ولكننا لا نبحث في القنبلة الذرية بل في تجزئة الطاقة النووية».
عبست جيرالدين وقالت:
«أرجوك لا تشرح لي فأنا لا اعرف الفرق بينها وبين حبة وجع الرأس».
قالت ترينا وهي تضحك:
«تعرفين الفرق اذا ابتلعت قسماً من المواد ذات النشاط الاشعاعي بدلا من حبة وجع الرأس».
قالت جيرالدين تشارك ترينا ضحكتها:
«اعتقد انك على حق». ثم التفتت الى اندرو. «انا اعجب من تصرفاتك. ريتشارد يبدأ في الكلام العلمي عند أول اشارة ولكن أنت اليوم مع عروسك وعليك ان تغازلها مؤكداً لها جمالها وأناقة ثوبها الجديد».
«لقد قمت بذلك من قبل واكتشفنا ايضا انه لا يتجعد».
«اندرو!». .
ضحك ريتشارد وقال:
«العلم في خدمة الغرام. يمكن للأثواب ان تتجعد بدون ان يلحظها احد».
اعترضت ترينا وقد وضعت يديها على خديها لتخفي حمرتها وقالت:
«كفى».
قالت جيرالدين:
«هذه هي مشكلة العلم. انه يبسط ويشرح كل التفاصيل».
ضحك ريتشارد وقال مخاطباً اندرو:

«اشعر انني لا انساني. لقد شعرت بوجود فتاة جميلة وذكية، وفهمت كل ما دار بيننا من حديث، لو كنت أصغر بثلاثين سنة لخطفتها منك».
أجابه اندرو:
«لن أترك لك هذه الفرصة».
ثم حمل ترينا مسرعاً بها الى حلبة الرقص من جديد.
كانت جيرالدين تراقبهما برضى. نظر اليها ريتشارد وقال:
«انت شديدة الاناقة يا عزيزتي».
ابتسمت جيرالدين:
«هذا الأمر اصبح لا يهمني. انني مسرورة جداً لما انتهى به الأمر بينهما. الفتاة تناسب اندرو كثيراً وهي تلعب الشطرنج ايضا».
نظر اندرو الى ترينا وهو لا يصدق ان القدر قد أرسلها اليه. لقد ربطهما القدر برباط الحب السرمدي. سعادتهما تامة ومثالية... هل يمكن ان تدوم؟

٦- عقد ماسي كالمشنقة

أمضت ترينا يوم الأحد في ترتيب حقائب الاولاد وأمور أخرى ضرورية من أجل انتقالهم الى المدرسة. كذلك كان عليها ان توضب حقائبها لتنتقل للعيش مع جيرالدين في باتنغا. لم تكن ترينا تتوقّع حدوث ما يعكر صفو حياتها. هبّت ريح خفيفة ولكنها لم تتوقع مع هبوبها حدوث كارثة أليمة هزّت حياتها وسددت لها ضربة قاسية فيما بعد.

كانت لا تزال في غرفتها تهيء نفسها للرحيل. . . ملف رسائلها مفتوح تحت النافذة لتنقل اليه الرسائل الموجودة في حقيبة يدها. نادوها من أسفل لتصريف بعض الامور الملحة. نزلت على عجل وتركت ملف الرسائل مفتوحاً تحت النافذة. هبت الريح تعصف بأوراق الشجر وتوقعها أرضاً. . . اشتد هبوبها خلال ساعة ودخلت غرفة ترينا عبر النافذة المفتوحة وعبثت بالرسائل. . . واحدة طارت وحطت أرضاً تحت السرير واخرى قبعت فوق السجادة وثالثة علقت برجل الكرسي ورابعة خرجت من النافذة. . .

عادت ترينا الى غرفتها وأغلقت النافذة وأعادت الرسائل المبعثرة الى الملف. أغلقته ووضعته في حقيبتها. لم تنتبه الى الرسالة التي طارت من النافذة وحطت فوق الارض المرصوفة قرب المدخل. بقيت الرسالة طوال الليل في مكانها، وفي الصباح طارت وعلقت بشجيرة قرب المدخل. دخل أندرو المدخل بسيارته السوداء بعد أن أوصل الاولاد الى محطة القطار حيث سيغادرون من هناك الى المدرسة.

لم ترافقهم ترينا بل بقيت في براكيه بعد أن ودّعتهم وزوّدتهم بآخر

ارشاداتها. بكت الصغيرتان قليلاً مع انهما ذاهبتان الى مدرسة نهارية وستعودان مساء اذ تقع مدرستهما في ميونا بينما جولي وورود ذهبا الى مدرسة داخلية.

وقفت السيارة ونزل منها اندرو. علقت عيناه بالرسالة المعلقة فوق الشجيرة. مضى اليها وفي نيته ان يعصرها بين يديه ويتخلّص منها في سلة المهملات داخل البيت. أول ما أمسك بها علقت عيناه بكلماتها بدون ارادته. كانت ورقة واحدة وأحرفها واضحة قرأ:

«اذا كنت لا تستطيعين ان تعيشي مع دنيس بالخطيئة فمن الافضل لك ان تتزوجي رئيسك».

جمد اندرو في مكانه ثم امسك الرسالة عمداً وفتحها وبدأ بقراءتها من بدايتها. بدأ وجهه يشحب ولا شعورياً امتدت يده الى الندبة فوق خده من جديد كما اعتاد ان يفعل سابقاً والتي كان قد نسيها منذ أسابيع.

أكمل مشيته بخطى وئيدة الى داخل المنزل، ومن يراه يلحظ على الفور شحوبه وجموده. كانت ترينا في خلفية المنزل فلم تسمع وصول السيارة. صعدت الى غرفتها بعد ذلك وأطلت من النافذة ترقب عودته. فوجئت بوجود السيارة السوداء أمام المدخل. ابتسمت بمرح وهي تعتقد انه وصل لتوه وركضت باتجاه السلالم لتستقبله. التقت السيدة جاميسون وهي صاعدة: قالت مديرة المنزل باستغراب:

«يريدك السيد اندرو في مكتبه يا آنسة ترينا. شكله غريب. . . اتمنى ان لا يكون قد حصل اي مكروه للاولاد».

قالت ترينا بعد ان توقفت عن الركض:

«اعتقدت انه وصل لتوّه».

«لقد وصل منذ نصف ساعة تقريباً».

«اوه. . . !» عبست ترينا متعجبة ثم تكلّفت ابتسامة تقليدية «عليّ ان اذهب لأرى ما المشكلة ربما الامر يتعلّق بحزنه لفراق الاولاد فقد بدأ يعتادهم ويحبهم».

لم تعلق السيدة جاميسون بشيء. شاهدت ترينا تقفز السلالم مسرعة الى مكتب اندرو. ما الذي حصل ليعود غاضباً؟ ولماذا دخل مكتبه وطلب ألّا يزعجه احد.

دخلت ترينا غرفة المكتب. لم تر أي اثر لغضب أو عصبية على ملامح وجهه. جمدت مكانها وهي تراه على صورته السابقة يوم التقته لأول مرة.
«اغلقي الباب خلفك».
امرها بنبرة باردة قاسية وقد بان الشحوب على وجهه بوضوح.
تمتمت بصوت منخفض كأنها تخاطب نفسها. عيناه السوداوان باردتان وفمه مشدود وتعابير وجهه جامدة:
«اندرو...».
«اعتقد ان هذه الرسالة تخصك».
اخذتها ترينا بأصابع هادئة. نبرة صوته تنم عن الكراهية والحقد. تفحصت الرسالة التي ناولها اياها وللفور صعد الدم الى وجهها ثم تراجع... وأصبحت شاحبة كالموتى. في تلك اللحظة شعرت كيف يبدو اسلوب ماردا البوهيمي في المزاح لرجل غريب مثل اندرو. لا يعرفها او يعرف مزاحها الذي يصعق السامع لأول وهلة.
«اندرو... سأشرح لك...».
بدأت جملتها ولكنه قاطعها متهكماً:
«لا مبرر لذلك! أعتقد أنّ الرسالة واضحة ولا تحتاج لتفسير. هل كتبت لها انك تمكنت من الحصول على الثروة».
«هي تمزح».
«هذا أكيد... عندما يكتشف الانسان الحقائق تصبح كلها مزاحاً».
«انك لا تعرف ماردا... هذا أسلوبها في الحديث. دائماً تقول أشياء تصعق السامع ولكنها لا تعني ما تقول. انها تمزح».
«ودنيس؟» ابتسم بمكر «هل اخترعته ايضاً وجعلته مزحة».
«لا... دنيس موجود». تمتمت «ولكنه لا يعني لي أي شيء».
«حقاً؟».
نظرت اليه. كان يهزأ بها ولا يصدق كلمة مما تقول.
«انت لم تتصلي به منذ حضورك؟ أنا واثق من انك ستؤكدين لي ذلك».
أرادت ترينا ان تؤكد له عدم رؤيتها لدنيس منذ حضورها الى براكيه ولكنها تذكرت كيف قابلته في سيدني وتمنت من كل قلبها لو أنها لم تلتقه صدفة ولم تجتمع به. لن يصدق أنها التقته صدفة.

ضحك عالياً وهو يرى تعابير وجهها الصادقة:
«اذن رأيته مؤخراً. منذ يومين. يوم ذهبت الى سيدني».
هزت ترينا رأسها موافقة:
«كان... مجرد صدفة. أحلف لك يا اندرو ان دنيس لا يعني لي أي شيء. يجب ان تصدقني».
«لقد كسرت نظارتي الوردية منذ زمن بعيد يا عزيزتي». أجابها ساخراً
«ولماذا لم تذكريه لي من قبل؟».
«لم يكن ذلك ضرورياً. انه لا يهمني...».
سألها بمكر:
«الرجل الذي تحبين... لا يهمك؟».
قالت صادقة:
«انا لا احبه».
ثم تملكها اليأس. لقد تأكدت أنّ وجود دنيس في حياتها يهدّد سعادتها ومستقبلها. انه لا يشكل سوء تفاهم ويزول. بل انه يشبه جنيفر لانجلي في حياة أندرو. نظرت ترينا اليه بحزن:
«انت الذي احبه. هذه هي الحقيقة».
«أو هي أموالي التي تحبين؟».
أجابها بسرعة وقد جمدت عيناه السوداوان وهو يردد عليها مقاطع من الرسالة:
«الرجال الذين يكرهون الجنس اللطيف يكون ترويضهم ملذاً. هل كنت مسرورة وأنت ترويضنني؟ حتماً. الأموال ستجعل لترويضي ثمناً عادلاً».
«انها تمزح...».
«أهكذا! وأنت؟ ألم تفعلي بنصيحتها؟ ألم تقرري بأن تحصلي على المال ان لم تفوزي بالحب؟ ثم ألم تستعملي سبيل المديح معي؟».
قال اندرو كلماته بطريقة ماكرة وعابثة وساخرة. لن يصدقها حتماً. عرفت ترينا انه من المستحيل ان تقول أي شيء لأنه لم يكن يسمعها... عليها ان تنتظر قليلاً ليهدأ من الصدمة التي اصابته من قراءة رسالة ماردا اولاً. سيكتشف بعد وهلة انها تمزح وسيتحقق بنفسه من طريقتها

المزلية . . . رأت يده تصعد لا شعورياً الى وجهه لتلامس الندبة كالسابق . لم تستطع ان تمنع نفسها من التقدم اليه لتمسك بيده وتعيدها الى جنبه .

«لا يمكنك أن تفعل ذلك . لا يمكنك ان تترك المرارة تعود الى نفسك» .

ابتسمت وهي تترجاه «انا اعني كل كلمة قلتها لك . الندبة لا تشوهك» .

«انا واثق بأن اموالي كانت أفضل من عملية التجميل في نظرك» .

«أهذا حقاً ما تؤمن به؟» .

شعرت أن صوتها الدافىء سيؤثر فيه من جديد ولكنه هز كتفيه بدون اكتراث .

«لن ينفع نكرانك يا عزيزتي . انا لست غبياً كي ألدغ من الجحر مرتين» .

«اذن . لا مجال . لماذا أذهب لاعيش مع جيرالدين» .

قالت بصوت منخفض وهي تأمل يائسة ان يقر بغلطته ويعتذر ويؤكد لها ان العلاقة بينها لم تنته .

«أفضل ان اعود الى سيدني . . . كما كان مقرراً في السابق» .

قال ببرود :

«ليس من الضروري» . نظرت اليه وكلها امل . ابتسم هازئاً وهز رأسه مطمئناً . «لا تهتمي يا عزيزتي . أموال دلوين لن تهرب من بين يديك . انا ما زلت أريدك . انت للبيع فلماذا لا اشتريك؟» مدّ يديه وامسك بكتفيها وشدّها بقوة اليه «ستذهبين لتعيشي مع جيرالدين كما قررنا من قبل . يجب ان لا تعرف حقيقة امرنا» .

وجدت ترينا نفسها غير قادرة على الكلام . لم تحاول ان تتهرب من قبضته الوحشية . كانت تحس بتعمده اهانتها وهو يشدها اليه . أحست بالذل وأرادت ان تتهرّب منه ولكن قوته الفولاذية التي سحرتها سابقاً جعلتها سجينته اليوم . أرادت ان تمنعه ولكنها لا شعورياً كانت ترغب به بالرغم من قساوته واحتقاره .

«انت ممثلة بارعة وتساوين ما أدفعه . لن اندم على هذه الصفقة» .

كان يتعمد اهانتها . لم تتكلم . كانت ترتدي ثوباً للبحر له حمالتان على كتفيها . امسك اندرو بالحمالتين وازاحهما بطريقة وقحة وبشكل خال من الاحترام وحين ارادت ان تمنعه قهقه بصوت وقح أخافها .

«لا . لا يا عزيزتي . أنا سأعطيك مالي واسمي ولكن لا تنتظري أن اعطيك احترامي» .

تحملت ترينا المزيد من غزله القاسي الخالي من أي حنان او محبة . احتارت كيف تتصرف؟ انها لا تصدق انه عاد لسابق عهده . من غير المعقول ان لا يحس بحبها الصادق . رفع رأسه ونظرت اليه . عرفت ان املها قد خاب . انه لا يصدقها . لا تزال عيناه تنظران اليها بشك ورغبة .

عليها ان تختار . هل تتركه ليعود الى رشده ويكتشف انها تريده لشخصه لا لماله . ام تتركه وترحل وينتهي كل شيء بينها؟ هل تبقى وتتحمّل اهاناته واستهزائه وتنتظر ان تمر فترة الشك وانعدام الثقة ليعود لصوابه ويتذكر علاقتها الطيبة وحبها العميق . يجب ان يتحقق بنفسه انها لا تستطيع ان تفعل اي شيء مما يتهمها به .

تمتمت وهي تحاول للمرة الاخيرة ان تفهمه الحقيقة .

«ماردا تمزح» .

قال مستهزئاً :

«صحيح؟» .

«انا معتادة على أسلوبها لذلك لا آخذ اقوالها مأخذ الجد . انها تمزح . وأنا لا أكذب عليك» .

قال متهكماً :

«انت لا تكذبين؟» .

قالت بصدق :

«اندرو . انا احبك . عليك ان تصدقني» .

«حسناً» . قال بخشونة . «الموضوع كله مزحة . بل أكبر مزحة في الموسم . لا تهتمي سأدفع ما علي . وستحصلين بالمقابل على الجواهر والماس الذي ترغبين» .

قالت :

«لا . لا أريد شيئاً . . . .» .

«جميع النساء اللواتي يفتشن عن الثروة والمال يفضّلن الماس» .

«واذا كان هذا هو شعورك نحوي فانا لا أفهم لماذا تصر على الزواج مني» .

«ألا تفهمين؟» ابتسم بمرارة ووضع يديه بخشونة فوق كتفيها باحتقار «قلت ان لي رغبة فيك. سأصر على الزواج وكما قلت سابقاً انت سلعة للبيع وانا سأشتريها وادفع الثمن».

بدأ الغضب يساورها. حاولت ترينا ان تتراجع. أن تقول له أنها ليست للبيع ولا للشراء. كتمت كبرياءها وجرحها. قالت تجاريه:

«لا بأس. سأتزوجك على أساس هذا الاتفاق».

«هذه شهامة منك» قال باستهزاء. «وماذا ترغبين ان اقدم لك هدية زواج؟ يمكنك ان تجعليها غالية الثمن. لا بد وأنك تعلمين ان رصيدي بالبنك يتحمل كل طلباتك».

اجابته ترينا:

«أريد عقداً من الماس».

لقد برد غضبها بسرعة كما بدأ. امسكت بذراعه من جديد تحاول التفاهم معه.

«لا أريد عقداً وأفضل ان احظى بحبك».

«انك لست عملية. ثمن الماس المادي أفضل بكثير... سأشتري لك عقداً ثميناً من الماس كما طلبت». افلت ذراعه من قبضتها ثم نظر الى ساعته «ستصل جيرالدين في اية لحظة. سأصعد لاحمل لك حقائبك».

قالت حزينة:

«انها جاهزة».

احست كأنها مخدرة. تمنت ان تدوم هذه الحالة معها لأنها كانت واثقة بأن الألم سيتبعها. الالم سيدوم طويلاً، لن يصدق اقوالها...

تمتمت وهي صاعدة لتغير ثوبها وتحضر نفسها لتنتقل الى باتنغا.

«يا الهي اجعله يؤمن بصدق اقوالي».

حمل اندرو حقائبها ووضعها في القاعة ونظر اليها محذراً وهو يرى جيرالدين تدخل مدخل البيت بسيارتها.

«تذكري جيداً. يجب ان لا تعرف جيرالدين اي شيء. لقد لعبت دورك باتقان في السابق وعليك ان تكملي التمثيل».

«وانا لم اكن امثل...».

قاطعته وهي متأكدة بانه لم يكن يعيرها سمعه. فقدان الثقة والشك قد

عاوداه من جديد وربما تضاعفا عنده بدخول عنصر الغيرة المدمرة. لقد عرف أنها كانت تحب شخصاً آخر غيره يوم حضرت الى براكيه، والوقت هو الكفيل باظهار الحقيقة.

وجدت ترينا نفسها تبتسم رغماً عنها الى جيرالدين حين دخلت القاعة، وكذلك فعل اندرو. تابعت ترينا التظاهر بالسعادة واجبرت نفسها على الثرثرة بمرح كعادتها، دخلت السيارة السبور وجلست في المقعد الامامي قرب جيرالدين. مالت بوجهها اليه مودعة. حاول ان يخفي احتقاره لها امام جيرالدين الاّ انها احست به. قال:

«ساكون عندك في الصباح الباكر».

ضحكت جيرالدين ومدّت يدها تلوح بها مودعة وقالت:

«ساعتني بها من أجلك».

بدأت السيارة رحلة الصعود وصوت المحرك يهدر ولكن ترينا لم تسمع هديره. كانت لا تزال تسمع كلمات اندرو الساخرة وتتذكر اقواله المريرة.

حضر اندرو صباح اليوم التالي كما وعد. عملت ترينا مجهوداً كبيراً لتبدو طبيعية في حضرة جيرالدين. وكذلك فعل اندرو لأن كبرياءه تمنعه من الظهور بمظهر الساذج السهل الانخداع. كانا يتبادلان الابتسامات الرقيقة والنظرات الناعمة الحالمة ظاهرياً ولكن مزاحهما كان يحمل بطياته التقريظ والقساوة وحين ينفردان ببعضهما تسود علاقتهما المرارة والشك وفقدان الثقة. كان المكر والغضب يملآن عينيه السوداوين والاحتقار والكره على شفتيه وهي مرتبكة لا تعرف ماذا تفعل. ربما كان من الافضل لها أن ترحل. ولكنها لم تستطع ان تقرر بعد.

خلال الاسبوع نزل اندرو الى ميونا لزيارة المصنع الجديد برفقة ترينا. وعندما ابدت اهتمامها بالبناء سألها بعصبية اذا كان اهتمامها يعود للأموال الطائلة المنتظر ان يجنيها المصنع الجديد. وجدت ان من الافضل لها ان لا تسأل اي سؤال ولا تبدي اي اهتمام.

قبل نهاية الاسبوع ذهب اندرو الى سيدني. وبالرغم من الجفاء بينهما وجدت انها افتقدته واشتاقت لزيارته، تساءلت اذا كان يبادلها شعورها مع أنه لا يثق بها... شعورها نحوه لم يتبدل بعد كل الذي حصل، انها تحبه ولن تستطيع أن تتخلص من حبه ابداً حتى لو قرر ان تنتهي العلاقة بينهما

بالانفصال. حبها الحقيقي له جعلها تتحمّل كل ما فعله معها بل هي مستعدة ان تسامحه على الفور.

كانت ترينا تجلس مع جيرالدين في الشرفة حين حضر اندرو عائداً من سيدني. رأت جيرالدين السيارة السوداء القادمة واعتذرت بلباقة.

«عليّ ان اساعد مارتا في تدبير العشاء».

نزل اندرو من سيارته وخف مسرعاً اليها. وجدت ترينا نفسها تبتسم بالرغم منها ابتسامة لا شعورية لانها فعلاً اشتاقت له. ابتسم اندرو تلقائياً كأنه نسي دوره القاسي الغاضب. وبعد لحظة وبسرعة عادت اليه نظرة الاحتقار.

«احسنت في استقبالي. هل جيرالدين ترانا».

«لا». كانت قاسية في نبرتها «ابتسمت لك لأنني أريد ذلك فعلاً».

«لم لا؟» قال مازحاً «ربما لانك ترغبين في عقد الماس».

«لا أريد عقداً من الماس!».

اجابها بطريقة كريهة:

«هذا ليس معقولاً يا عزيزتي». كان يحيطها بذراعيه. ثم اكمل: «قلت بأنني سادفع ثمن حبك».

تغيرت تعابيره. بدأت شرارة تلمع في عينيه السوداوين وغاب المكر منها.

قال بصوت أجش:

«انت حسناء وصائدة أموال».

«لا اسمح لك بأن تقول ذلك عني؟».

أجابها وهو يستعمل قوته كي لا تهرب منه:

«وماذا تستطيعين ان تفعلي؟».

تراخت في مقاومتها لا شعورياً. ثم صدته بسرعة ودخلت مسرعة الى غرفة قريبة من الشرفة. تبعها على الفور. وقد وصلت جيرالدين الى الغرفة ايضاً فتوقف عن ملاحقتها.

ابتسمت جيرالدين لها وقالت مخاطبة اندرو:

«مرحباً يا عزيزي. أرجو أن تقدر حسن تصرفي بالاختفاء عند قدومك».

كان يمزح وهو راض ومسرور:

«سأشكرك الى ما لانهاية».

«لن يتأخر العشاء كثيراً هل حرك الغرام شهيتك؟».

«أشعر بالجوع الشديد». أجابها اندرو ونظر الى ترينا متكاسلاً. «على فكرة يا حبيبتي لدي هدية لك».

أخرج علبة مخملية فاخرة من جيبه وللفور أحست ترينا كأنها قطعة ثلجية قالت بارتباك:

«أنا. . . ظننت أحداً يناديني».

كانت لا تدري ماذا تقول لانها كانت تراقب اندرو يفتح العلبة المخملية التي بين يديه.

قالت جيرالدين ضاحكة:

«لا تقولي انك تخجلين من وجودي». جلست في كرسي مريح «لا تهتمي. أنا ايضاً اتذكر ايام شبابي».

لم تتكلم ترينا. كان نظرها مركزاً على العلبة في يد اندرو. . . لا يستطيع ان يفعل ذلك. . . لكنه فعل. . . رأت بريق الماس يشع من فتحة العلبة. كان عقداً ثميناً وجميلاً.

جعل اندرو يتباطأ في حركته وهو يضع العقد حول عنق ترينا. كان بريقه رائعاً. شعرت بالعقد بارداً فوق بشرتها وهي تقف مشدوهة تحاول ان تقنع نفسها بأن ذلك لم يحصل. . . عادت تتذكر كلامه. . . وتسمع صوته. . .

«اذا كنت للبيع، لما لا اشتريك؟».

نظرت جيرالدين الى العقد باعجاب ثم ابتسمت الى ترينا:

«يا عزيزتي. انك تجيدين تدريبه على أفضل السبل».

قال اندرو:

«اليس كذلك».

سمعت ترينا نبرته وما تنطوي عليها من معان. لم تفهم جيرالدين المقصود ولكنها هزت رأسها توبخه قائلة:

«كان عليك أن تعطيها العقد على انفراد لتشكرك كما يجب. الآن وأنا معكما لن تستطيع ان تفعل. ولن اغادر الغرفة واختفي بلباقة من جديد».

ضحكت ترينا رغماً عنها:
«أستطيع ان اشكره في وقت لاحق. عليه ان ينتظر فالغلطة غلطته».
ستقيم الدنيا وتقعدها فوق رأسه. ستقذفه بالعقد. صحيح ان اهاناته السابقة لم تزعجها ولكن العقد اهانة كبرى ولن تغفرها له.
أحس اندرو بما يدور في خلدها. كان يعلم لا شعورياً انه يتصرف خطأ لذلك اغتنم فرصة وجود جيرالدين معهما ليقدم لها العقد وكان يعرف انها لن تستطيع ان تقذف به أمامها جلست جيرالدين بعد العشاء تطرز وهي تستمع لآخر الاستعراضات الموسيقية من المذياع. نزل اندرو بصحبة ترينا من الشرفة الى الحديقة.
«نراك فيما بعد» قال لعمته «اعتقد ان الوقت قد حان لتشكرني ترينا على هديتي».
ضحكت جيرالدين ولكن ترينا لم تفه بكلمة وهي تسير برفقته. الليلة مقمرة ومناسبة لتكون ليلة سعيدة للعاشقين. ولكن الظروف معهما تختلف.
قال متشدقاً:
«الآن... الا تعتقدين ان الوقت قد حان لتشكريني؟».
«انا لا أريد العقد».
مدت يدها وخلعته من حول رقبتها. ارتفع حاجباه وقال هازئاً:
«لماذا لا تريدينه؟ اظن ان جميع الفتيات يرغبن في عقد ماسي وأنت قلت انك تريدين عقداً من الماس».
«أنا لم أكن جادة».
«مزحة اخرى؟».
«لا. قلت شيئاً لا أعنيه. كنت أنت تضايقني وترغب أن أقول لك شيئاً من هذا القبيل... انا متأكدة بأنني لا أريده». قذفته اليه وهي ثائرة «هل تعتقد ان هديتك تسرني في مثل هذه الظروف؟».
ضحك ضحكة خبيثة:
«أنت تجيدين التمثيل. موقفك الآن خطير. ربما آخذ العقد وتخسرينه».
«أنا أريدك أن تأخذه وتعيده».

ضحك بمكر وقال:
«لا تهتمي. لن اتهمك بالخداع والمراوغة. يمكنك ان تحتفظي به».
«أنا لا أريده». كررت ترينا قولها «خذه والا سارميه أرضاً!».
اخذه منها ببطء:
«سأعيده الى عنقك». وجعل يربطه حول عنقها من جديد.
بقيت ترينا واقفة بدون حراك وهو يثبته حول رقبتها ولكن غضبها عاد اليها من جديد ومدت يدها تحاول أن تنتزعه من مكانه من جديد. امسك اندرو اصابعها بقسوة:
«قلت لك اتركيه مكانه».
وقبل أن تقول اي شيء جذبها اليه وعانقها فاحست ترينا ان كل احتقاره وكراهيته قد اختفيا. وشعرت أن الشك وانعدام الثقة قد ذابا. وأن الامل يتسرب الى داخلها. الامل بأن الحب الذي يربطهما سيتغلب على كل الصعاب.
تمتمت ورأسها فوق كتفه:
«اه... اندرو...!».
«انت تجيدين التمثيل. لديك مؤهلات انثوية اتمتع بها بالمقابل».
كانت كلماته الساخرة المتشدقة كالصفعة القوية على وجهها. اختفت جميع الالوان من محياها وبدت شاحبة كالموتى ومات أملها الجديد. قالت بانكسار:
«لماذا تتفوه بتلك التعابير البذيئة؟».
«لماذا تمثلين؟ لن تخسري أي شيء ان كنت صادقة».
قالت بمرارة:
«وماذا سأخسر؟».
«الا تعرفين؟» نظر متعمداً الى العقد في جيدها ومال بيديه القوية يمسكها «وافهمي جيداً وتذكري دائماً ما كتبته لك صديقتك: ان كنت لا تحصلين على الحب فلماذا لا تحصلين على المال... لن تحصلي على الاثنين معاً».
قالت ترينا ببطء:
«أنا لا افهمك».

قال ضاحكاً:
«اعتقد انك تفهمين قصدي جيداً».
«انت لا تقصد انني سأتزوجك لمالك ثم اخدعك مع دنيس؟».
«الم يخطر ذلك ببالك؟».
«لا. لم يخطر ذلك ببالي ابداً». كانت مفاجأة لها ان تسمعه يقول ذلك. بدأت تتجمد وتبرد وكل شعور نحوه يموت. «اذا كان هذا هو شعورك فلا ينفع ان نكمل مشوار الزواج؟».
«أنا مستعد ان اسيره معك على هذا الاساس». قال جاداً. «اريده مفهوماً منذ البداية».
حدقت ترينا به فترة طويلة وهي لا تدري بما تجيب. من غير المعقول ان يكون اندرو هو الذي يتكلم معها على هذا النحو. انه كابوس ثقيل. انه ليس حقيقة. انه حلم مزعج.
سألها وقد اكد لها انها تعيش الحقيقة:
«حسناً. ما هو قرارك؟».
امسكت ترينا بالعقد وشدته من رقبتها وقذفته الى الارض قرب رجليه ثم ركضت داخله الى المنزل. مرت قرب جيرالدين بدون ان تكلمها. صعدت الى غرفتها وبدأت توضب حقائب السفر بيدين مرتجفتين وتستعد للرحيل. ليس هناك اي أمل بعد، لقد اعتقد اندرو انها ستخدعه مع دنيس بعد الزواج. هو حتماً لا يحبها.
وبعد دقائق قليلة كانت جيرالدين تطرق بابها بلطف وتطلب الدخول.
«ترينا ارجوك ان تسمحي لي بالدخول يا عزيزتي. هناك مشكلة وربما أستطيع المساعدة».
قالت ترينا بعناد:
«ليس هناك اية مشكلة».
«لا؟ لقد مررت قربي كالعاصفة وبعد دقائق ركب أندرو سيارته بدون وداع. وتقولين ليس هناك مشكلة!».
مشت ترينا الى الباب متثاقلة وفتحته.
«سترحلين؟».
قالت جيرالدين باستغراب بعد ان القت نظرة على الحقائب. وهزت

رأسها غير موافقة.
«لا تفعلي ذلك يا عزيزتي. لا يمكن لأية مشكلة ان تكون بهذه الخطورة. سوء التفاهم يحصل في البداية بين الخطيبين من جراء توتر الاعصاب الذي يسبق الزواج. جميع هذه الخلافات تهدأ وتبرد بعد فترة قصيرة».
«انها ليست خلافات بسيطة». استدارت ترينا اليها مواجهة. «الامور بيننا سيئة منذ فترة».
«لم الاحظ عليكما اية خلافات».
اجابتها ترينا بمرارة:
«ربما لأننا نجيد التمثيل».
«ان استطعتما اخفاءها فهذا يعني انها ليست مهمة».
«انها مشكلة ولن استطيع ان اكمل مشواري معه... هذا كل ما في الامر».
«هل الخلاف يتعلق بحبيبك الشاب؟».
«تقريباً».
«ظننت انك شفيت من حبه... وانك تحبين اندرو».
اجابتها ترينا:
«وأنا كذلك».
كان في نيتها ان لا تخبر جيرالدين بالحقيقة. لا لزوم لان تخبرها عن النعوت البذيئة التي وصمها اندرو بها.
«تعتقدين انك لن تستطيعي الزواج من اندرو بسبب حبك القديم؟».
«دنيس!».
«ولكنك قلت انه متزوج ولا سبيل لحريته ولا نهاية لحبكما...».
«لن اتزوج من اندرو... لن انفعه».
«انت لا تصدقيني القول». ابتسمت جيرالدين مواسية «انت تحبين اندرو كثيراً».
«نعم احبه وسأظل احبه الى الأبد».
«ولماذا تهربين اذن؟ اعتقدت انكما أسعد خطيبين!».
أجابتها ترينا بمرارة وحزن:
«لسنا كذلك؟ انها الندبة المشؤومة...».

«هي جنيفر والحادثة... تعتقدين انه لا يزال يحبها... هل هذه هي المشكلة؟».
هزت ترينا رأسها نفياً. عادت جيرالدين تسألها ملحة:
«اذن ما السبب الذي أدّى الى انفصالكما؟».
«لا استطيع ان اخبرك؟».
«من الأفضل ان تتكلم عن المشكلة سوية. الانسان لا يستطيع ان يرى الامور على حقيقتها ليتخذ القرار المناسب. العاطفة تحجب الرؤية الصحيحة للأمور».
«لن ينفع سردي للمشكلة».
«ولماذا لا تجربي؟ لا يمكنك التكهن بالنتائج قبل أن تحاولي. من الممكن ان استطيع مساعدتك».
بقيت ترينا صامتة لفترة ثم خضعت لرغبة جيرالدين وسردت لها القصة بحذافيرها كما حصلت. كانت جيرالدين تستوضحها بعض الامور وتسألها بعض الاسئلة وتستمع اليها بجدية عميقة وتعقل بدون ان يبدو عليها العطف او الانحياز او اي انفعال آخر.
«لا ألومك على شعورك يا عزيزتي ولكن المشكلة لا تحل برحيلك. لقد قطعت شوطاً كبيراً في علاقتك...».
«ولكنني لا أستطيع ان أتحمل المزيد من الاهانات، انه يعتقد انني سأخونه... وأخدعه بعد الزواج. من المؤكد انه لا يحبني والا لما استطاع ان يتفوه بهذه العبارات».
«على العكس. اعتقد ان ذلك يؤيد حبه لك... لا يمكنك ان تتركي كل شيء وترحلي».
«لا. لا استطيع ان اكمل المشوار. انا لا اتزوجه لماله».
«أعرف ذلك يا عزيزتي، سيفهم ذلك عندما يثوب الى رشده. اعطه بعض الوقت».
«بعض الوقت... لقد صبرت اسبوعاً. تفهمت غضبه في البداية ولكن غضبه يتفاعل ويتضاعف».
صمتت قليلا تحاول ضبط اعصابها. ولما اكملت كان صوتها هادئاً.
«عليّ ان ارحل. هي الطريقة الوحيدة ليتأكد انني لا أتزوجه لماله...

حين اقطع علاقتي به الآن وأرحل لا بد وان يصدقني... واذا كان حقاً يحبني سيلحق بي».
نزعت خاتم خطوبتها من اصبعها وناولته الى جيرالدين. اخذته منها مترددة.
«ارجوك ان تعيدي اليه خاتمه وتشرحي له وضعي. سأكتب له رسالة تبرر تصرفي. ربما لن استطيع ان اشرح وضعي بوضوح الآن».
قالت جيرالدين معترضة:
«لن تسافري هذه الليلة؟».
«بل يجب». انتصبت ويدها فوق رأسها وآسفة. اشعر ان علي ان ارحل فوراً فانا مرتبكة التفكير. لقد احتملت ما فيه الكفاية».
«فقط انتظري للصباح».
قالت بتمرد:
«لا أستطيع. يجب ان أرحل الآن».
وجدت جيرالدين انه من الصعب اقناعها او الحوار معها. هي حزينة وغير سعيدة وربما اذا اصرت عليها في البقاء ستحاول الهروب ولو مشياً على الاقدام. قالت بهدوء:
«سأوصلك الى محطة القطار».
«لا لزوم. سأستدعي سيارة اجرة».
حملت ترينا حقائبها الى أسفل بعد عشرة دقائق حيث وجدت جيرالدين بانتظارها في القاعة. كانت باردة وجامدة في وقفتها.
«اتصلت ببراكيه تلفونياً منذ دقائق».
قالت ترينا:
«الافضل لو لم تفعلي...».
«الا تعتقدين انه يحق له ان يعرف انك راحلة من حياته؟ ربما يريد اللحاق بك الى المحطة او منعك من السفر».
«ماذا قال؟».
«لم يصل بعد الى براكيه... تركت له رسالة».
ران الصمت خلال الرحلة. كل منهما كانت تفكر على انفراد.
وصلا الى ميونا بعد نصف ساعة. لم تكن ترينا تتصور أنها ستترك ميونا

على هذا الشكل وقلبها متعلق بحب اندرو. لقد حرمها من حبه بسبب حساسية ولّدتها فيه فتاة اخرى صدمته في حبه. ولأن صديقتها ماردا برسالتها أعادت اليه ذكرياته الاليمة بمرارة مضاعفة بدون أن تدري.

كانت جيرالدين تراقبها مذعورة، هناك عطل عام في محطة القطار مما تسبّب في التأخير ساعة وربع على موعد القطار المعتاد.

سألتها جيرالدين:

«هل تحبين أن ابقى معك لحين قيام القطار؟».

«لا. افضل ان ابقى وحدي».

«اكره ان اتركك على هذا الحال».

«ليس باليد حيلة».

عبست جيرالدين ثم امسكت ذراع ترينا بلطف وحنان:

«لن أقول وداعاً لأنني متأكدة انك ستعودين. سيلحق بك اندرو فور استلامه رسالتي». قالت جيرالدين مؤكدة. لكن ترينا هزت رأسها نفياً لأنها لا تصدق.

«لا تنظري هكذا. سيلحق بك. انا واثقة من ذلك والا لما تركتك ترحلين».

سألتها ترينا حزينة:

«واذا لم يلحق بي؟».

«سيلحق بك ستقول الى اللقاء، لن نقول وداعاً».

ذهبت جيرالدين عائدة الى باتنغا. تساءلت ترينا: هل ستجري الامور معها حسب ما تشتهي؟ هل سيلحق بها اندرو حقيقة؟ لا بد ان يلتقيا من جديد. انه ليس الوداع الاخير.

راقبت ترينا سيارة جيرالدين تبتعد قبل ان تعود الى داخل المحطة. كانت فترة الانتظار مملة وطويلة ولكنها ستتيح لاندرو فرصة اللحاق بها ان أراد... بعد ان يستلم رسالة عمته.

شعرت بانقباض وهي تفكر بامكانية عدم اللحاق بها، يجب ان يلحق بها، لا يمكنه ان يصدق كل ما جاء برسالة ماردا... انها تحبه فعلاً.

جلست في غرفة الانتظار ثم انتقلت الى مطعم المحطة وطلبت فنجاناً من الشاي، شربت نصفه ووجدت ان لا طعم له، خرجت الى رصيف

المحطة من جديد ووقفت قرب الحاجز المدهون باللون الاصفر تراقب السيارات المتجهة الى المحطة علّها تجد بينها سيارة اندرو السوداء الكبيرة. تخيلته بشعره البلاتيني يقفز من سيارته راكضاً خلفها... ربما يركض فوق الرصيف والقطار يتحرك ليحملها الى الخارج في الوقت المناسب... سيعود اليها مهما تأخر وسيلحق بها.

لكنه لم يفعل. كانت داخل القطار ساهمة وهو يبدأ مسيرته ببطء وتردد كأنه يشاركها التذمر. جلست في القطار وهي تتمنى... ولكن خاب املها. وببطء ابتعدت المحطة عن ناظريها واختفت الاشجار الطويلة كلياً.

ربما سيلحق بها الى سيدني، عليه ان يلحق بها الى هناك، لا يمكنه ان ينساها... القطار البطيء جعل الرحلة مريحة، لقد زاد المها وكربها وهي تعيد ذكرياتها لنفسها، وصل القطار الى سيدني اخيراً وبدأت تراقب من جديد وجود سيارة سوداء بانتظارها في محطة سيدني... ولكن لا شيء من هذا القبيل. توقف القطار وسمعت تنهيدته الكبيرة وهو يخرج البخار الكثيف قبل ان يقف، لم تكن ماردا بانتظارها لأنها لم تتصل بها لتخبرها بعودتها، الوقت متأخر وستكون نائمة بسلام. كانت ماردا تعرف انها باقية في باتنغا الى يوم الزفاف.

الزفاف! شعرت باختناق في حنجرتها وصعوبة في البلع، ملأت الدموع مآقيها ومسحتها بكآبة. حملت حقيبتها وبدأت تمشي على الرصيف، لم تنتظر حمالاً يساعدها، كانت تجد في تعذيب نفسها راحة تشغل تفكيرها بعيداً عن همومها، حاول رجل مساعدتها ظناً منه انها مريضة ولكنها ابعدته بنظراتها القاسية. واخيراً دخلت سيارة الاجرة التي حملتها الى الشقة عند ماردا. استفاقت ماردا على صوت المفتاح يدور في القفل... اعتقدت ان احداً يقتحم عليها المنزل ليلاً. خرجت مذعورة لترى ترينا امامها.

رفعت نظرها وفتحت فمها لتقول شيئاً ولكنها توقفت بعد ان شاهدت ترينا على تلك الحالة. مشت لمساعدة ترينا بحمل حقيبتها الى غرفة النوم ثم عادت وأجلستها فوق كرسي وذهبت الى المطبخ لتضع ابريق الشاي على النار.

«توجد علبة بسكويت هناك افتحي العلبة بينما احضر الشاي يا عزيزتي».

لبث ترينا أوامرها لا شعورياً. عادت ماردا بالفناجين والشاي.

«لقد تشاجرت مع اندرو!».

«لا لزوم لتتكلمي عن ذلك الآن اذا كنت لا ترغبين».

«ألا تتعجبين من عودتي الآن. . .».

توقفت وهي تتذكر أن رسالة ماردا هي السبب الرئيسي في خلافها مع اندرو، عليها ان تخفي هذه الحقيقة عنها حتى لا تلوم نفسها، حتى لو كانت ماردا هي المسؤولة عن تعاستها فليس من الحكمة أن تتشاجر معها ايضاً.

«واندرو شديد الحساسية وأنا كذلك حادة الطبع وسريعة الانفعال. . . وقد تطورت الامور بيننا ووجدت من الافضل ان أرحل».

«لا يهمك. ستعود الامور بينكما الى سابق عهدها، في الصباح الباكر عندما تستيقظين ستجدينه بانتظارك امام الباب».

قدمت لها فنجان الشاي كأنها تقول انه الدواء الشافي لجميع العلل. انه يشفي حتى من وجع القلب. . . من الحب.

عليها ان تصدق أقوال ماردا. الرابطة القوية بينها وبين اندرو لن تنفصم عراها بسهولة، سيعود غداً صباحاً كما قالت ماردا، ولكنها لم تستطع ان تهدئ من ضربات قلبها السريعة وهي تفكر في المستقبل. كيف سيكون المستقبل بدونه. . . لو لم يلحق بها، انها تفضل قربه حتى لو ظن بها اسوأ الامور.

٧- الانتظار ليس للأبد

خلافاً لما توقعت، نامت ترينا نوماً عميقاً متواصلاً. كانت منهكة القوى من كثرة التفكير، نعمة كبيرة أنها لم تبق صاحية لتعيد في ذهنها ذكرياتها السوداء، استفاقت قرب الظهر، وبالرغم من نومها العميق الا أنها لا تزال تشعر بالتعب. نهضت من فراشها وهي تتساءل: هل انتهى كل شيء بينها وبين اندرو؟ انها تتعذب من خوفها ان لا يعود ابداً.

لبست ثيابها مسرعة بعد ان اخذت دوشاً منعشاً ودخلت الى غرفة الجلوس، كانت جديلتاها منتظمتين بترتيب فوق رأسها، ولم تر ماردا لانها كانت في المطبخ تحضر الفطور وتغلي الشاي. نظرت ماردا اليها حين دخلت الى غرفة الجلوس نظرة ماكرة وهي تحاول جهدها ان تبدو طبيعية كعادتها. كان همها أن تشعر ترينا بأنها في بيتها وان لا شيء قد تغير بينهما منذ غادرت سيدني قبل اسابيع وان الامور طبيعية كالسابق.

«مرحبا. . . هل نمت جيداً؟» حيتها ماردا «لم أزعجك بعد الرحلة الشاقة الليلة الماضية. ان قطار الليل البطيء متعب للغاية».

«نمت جيداً لم استيقظ مرة واحدة خلال الليل».

«حسناً. أثناء نومك نزلت الى السوق واشتريت بعض الحاجيات».

وقفت ترينا وسط غرفة الجلوس وسمحت لافكارها ان تجنح بها الى الماضي القريب ثم نظرت عبر النافذة مستطلعة، رأت فوق الطاولة قرب النافذة بعض رسوم ماردا. نظرت اليها متفحصة.

«هذه الرسوم ممتازة».

«شكراً يا صغيرتي تابعي مديحك. هذا ما أرغب في سماعه».

ابتسمت ترينا لا شعورياً وهزّت ماردا رأسها موافقة على تصرفها:
«وهذه الابتسامة هي ما أحب ان ارى على وجهك، لا تهتمي... سيعود كل شيء الى مجراه الطبيعي».
تنهدت ترينا كأنها لا تصدق:
«أتعنين ذلك».
«طبعاً».
البارحة أكّدت لها بأنه سيكون أمام بابها حين تستفيق... ولكن لم تصدق في ظنها. هل من الممكن ان لا يصل ابداً؟ هذه الفكرة ترعبها وتخيفها وتجعلها ترتجف.
قالت ماردا مازحة:
«الفطور جاهز. كلي جيداً».
ابتسمت ترينا غصباً عنها وقالت:
«حاضر».
لم يتكلما في بداية الفطور ولكن حين شارف الشاي على النهاية قالت ماردا بطريقة عفوية.
«هل ترغبين في الكلام الآن؟».
هزت ترينا كتفها:
«لا يوجد الكثير لأقوله».
«الكلام يساعدك في التنفيس عن صدرك، انا لن اثرثر ولن أقدم لك أية نصيحة اذا كنت تفضلين ذلك».
«انا لا أريد ان احملك همومي».
طلبت منها ماردا أن تتكلم دون تباطؤ وبدأت ترينا تخبرها القصة بدون ان تذكر لها أي شيء عن رسالتها التي كانت السبب المباشر في سوء التفاهم بينهما.
«ولكنك كنت تعرفين أسباب الندبة من قبل وتفهمين انه يوليها اهتماماً كبيراً. لقد ذكرت ذلك في رسالتك».
«انه لا ينسى انها تشوهه وتجعله يبدو كالمسخ... وتجعل الجميع ينفرون منه. ولما سمع... عن دنيس...».
«اذن دنيس هو السبب. هو الذي اشعل الفتيل؟».

«تقريباً. لا أستطيع ان اخبرك بالضبط... لقد فسر شيئاً على غير حقيقته ولم يصدقني حين أقسمت له ان ذلك ليس صحيحاً».
«نهضت ورميت له خاتمه في وجهه بعد ان ظهر طبعك الحاد الى الوجود».
قالت ترينا:
«ليس بعد. لقد حدث ذلك بعد اسبوع».
«بعد اسبوع!».
«حاولت خلال الاسبوع ان اشرح له ولكنه لا زال يؤمن بأنني سأتزوجه لامواله. ثم قال ان عليّ ان اقرر اذا كنت أرضى بماله بدون حبه. ثم ارتجفت وهي تتذكر .هو يؤمن انني سأتزوجه وابقى على علاقتي بدنيس سراً».
قالت ماردا بحزم:
«الغبي!».
«لا...» هزت ترينا رأسها غير موافقة ثم اكملت ما عدت احتمل المزيد. فكرت بأنني ان فسخت خطوبتي ورحلت سيتأكد ان امواله لا تهمني... اعتقدت انه سيلحق بي... لكنه للآن لم يفعل».
قالت ماردا:
«سيحضر عما قريب».
تعجبت كيف يمكنها ان تنتظر عودته بعد كل الاهانات التي الحقها بها.
بدأ الوقت يمر بطيئاً. كانت ترينا تستشير ساعتها كل خمس دقائق بدت الفترة الصباحية كأنها اشهر. لم يحضر اندرو في الصباح، وساعات بعد الظهر مرت بطيئة، ولم يحضر اندرو بعد الظهر. غابت الشمس وارخى الليل سدوله، لن يحضر اندرو في الليل ولم يحضر... ولا زالت تأمل ان يحضر في صباح اليوم التالي. ولكن اليوم انقضى كاليوم السابق ولم يحضر أندرو، ومرت الايام. فقدت ترينا كل أمل بعودته، وأجبرت نفسها على تقبل الامر الواقع... انه لن يحضر ابداً.
لم تشعر نحوه بالكراهية. كانت واثقة بأن جرحه القديم بدأ ينزف. الجرح الذي خلفته جنيفر في نفسه كان أقوى من الندبة الظاهرة على وجهه، جرحه عميق ولن يندمل بسهولة وساعدت رسالة ماردا في اعادة

شكوكه وعدم ثقته بالمرأة.

الحياة يجب ان تستمر. بدأت ترينا تفتش من جديد عن عمل كانت سعيدة لتجد ان مكانها في فرقة الباليه الدولية لا يزال شاغراً بدأت دوامة العمل من جديد وساعدها عملها في تضميد جراحها كانت احياناً تنسى اندرو في وهلة الرقص ولكنه يعود اليها حين تخلو لنفسها. من غير المعقول أن تنساه. ما تكنّه له يختلف تماماً عما كانت تكنه لدنيس، لن تشفى ابداً من حبه كما شفيت من حب دنيس عليها ان تكيّف حياتها لتعيش بدونه، سكوته كان أبلغ مما يمكن ان يقوله، حين يصدقها ويثق بها سيعود اليها مستغفراً. . . ستغفر له وتسامحه على الفور، فهي تحبه، ولكنه للآن لم يسترجع ثقته بها ولا يريدها.

مرت الاسابيع والشهور ولم تستلم منه أية رسالة. قررت انه حادث عرضي في حياتها ربطها الى ما لانهاية. لقد انتهت بالنسبة اليه، لقد وضعها في صف جنيفر. الشك وعدم الثقة بها سيحولان دون تصالحهما. . . لن تعود المياه الى مجراها بينهما قبل ان يتغلب على شكوكه.

كانت ترينا ترقص مع زميلها الشاب القوي. حملها الى اعلى وطوحت نفسها الى الخلف بحركة رشيقة ويداها توازن حركتها. صدحت الموسيقى بعنف وضربت الصاجات ضربة قوية تعلن انتهاء الرقصة. عمّ القاعة صمت قبل ان يبدأ الجمهور بالتصفيق. كانت الرقصة تمثل اسطورة فلكلورية. بقيت ترينا مأخوذة بالموسيقى لفترة قبل ان تعود الى الواقع، لحظاتها الراقصة هي التي تتيح لها فرصة الهروب من ذكرياتها. لو باستطاعتها ان تطبق على ذكرياتها الاليمة مع اندرو بأصابع قوية وتخنقها كلياً في ذاكرتها.

دخلت غرفة الملابس مع الراقصات وهي تثرثر وتضحك، كان العمل المرهق وما يتطلبه من تمارين يشغلها عن حنينها الى اندرو. جميع أفراد الفرقة عرفوا بفسخ خطوبتها لانها كانت قد استقالت سابقاً بسبب رغبتها في الزواج، كانوا يعتقدون أن اسباب فسخ الخطوبة تعود لأنها تحب الرقص ولا تستطيع ان تتخلّ عنه لأي سبب. وقد وافقت على هذه المغالطة لتحمي ماء وجهها.

فكرت ترينا مراراً بالعودة الى براكيه ولكن كبرياءها تمنعها من هذه

الخطوة. كانت تؤمن ان الخطوة الاولى للمصالحة يجب ان تأتي من طرفه بما انه هو الذي اتهمها بالزواج طمعاً في ماله. ولكن اندرو لم يخطو هذه الخطوة المنتظرة وبالتالي وهبت ترينا حياتها للعمل، أجهدت نفسها بالتمارين لعلها تنساه. تعجّبت لأنها لم تسمع من جيرالدين أو تستلم منها رسالة، ربما وجدت جيرالدين ان من الافضل ان تقبل بالامر الواقع. . . بأن كل شيء قد انتهى ومن الافضل ان لا تحيي الماضي باتصالها.

مرّت الايام وتلتها الاسابيع والاشهر. . . أربعة اشهر مرت منذ رحيلها عن براكية. كم تمنّت ترينا ان تلتقي اندرو صدفة في سيدني حيث يعمل كل أيام الاسبوع ولكن أملها ضعيف جداً لازدحام المدينة بالسكان لكن تمنياتها باءت بالفشل ولم تلتقه ابداً. حتى لو التقته ما الذي سيحصل؟ ربما تكتشف بنفسها اذا كان كل شيء بينهما فعلاً قد انتهى او ربما باعجوبة تعود علاقتهما لمجراها الطبيعي.

مرت الايام متشابهة. اعتادت حياتها الجديدة مع الألم والحزن وهي ليست اول فتاة تتألم لفسخ خطوبتها. كانت احدى فتيات الفرقة الراقصة قد مرت بالتجربة نفسها حيث نبذها حبيبها واحست ان العالم قد انتهى. كان الجميع يخففون عنها. الراقصة الاولى في الفرقة، وهي سيدة عصبية المزاج تصاب بنوبات من الغضب مما يجعل من حولها يبتعد عن صداقتها، كانت تواسي الفتاة وتساعدها على تحمل مصيبتها. قالت.

«لا تدعيه يسبب لك كل هذا الحزن يا صغيرتي، مهما يكن فانه لا يساوي دموعك الغالية».

اجابتها الفتاة وهي تبكي بحرقة:

«ما زلت اتألم كثيراً ولكنني سأنساه مع الوقت».

كانت ترينا نادراً ما تذهب في المساء خارج البيت. واذا خرجت فالى دور السينما لوحدها او برفقة ماردا. خرجت مرة لتشاهد فرقة الرقص الاسبانية التي كانت تقدم استعراضها في العاصمة. . . وكانت تتناول غداءها مع فتيات الفرقة. احياناً كانت تجد نفسها منفردة بزميلها الراقص النروجي، لم تخدع نفسها بأنه يحبها او يتودد اليها وعادة كانت تتكلّم معه بأمور الرقص والفرقة والتمرين ولكن ماردا كانت تجد في علاقتهما بصيص أمل، ربما يستطيع هذا الشاب ان ينسيها اندرو قليلاً. قالت ماردا مازحة.

«حان الوقت ليجد اندرو منافساً له، آسفة يا صغيرتي ولكن عليك ان تنظري الى الطرف الآخر للشاطىء».

«علاقتي به ليست كما تعتقدين. انه لم يسألني ان اخرج معه في موعد».

«لقد حان الوقت تناولتما العديد من فناجين القهوة سوية قرب شجيرة الصبير».

«كان اجتماع عمل. نتكلم في شؤون الرقص».

«يجب ان تطلب منه ان يفحص رأسه».

«لا. لن تفعلي!» ضحكت ترينا بعد ان تذكرت ان ماردا تمزح. كم انت خبيثة. معظم الاوقات لا أعرف مزاحك من جدك».

«لو كنت واثقة بأنه يستطيع ان ينسيك رجلك من آل دلوين لذهبت اليه وطلبت منه ان يغازلك. على فكرة، هل يشتهر شباب النروج بالغزل؟ انا لم افكر بذلك من قبل».

اجابتها ترينا بسرعة:

«ليس لدي اية فكرة عن مواهبهم او مؤهلاتهم في هذا المضمار. اياك ان تفكري بأي مقلب».

«ستكون تجربة علمية لو كنت واثقة بأنه سينسيك اندرو...».

«اشك بذلك».

«المرة الثالثة هي الثابتة... يقول المثل».

«ليس دائماً».

«لقد حان الوقت لتجربي حظك للمرة الثالثة، انا لا أعني الشاب النروجي... ولكنك لا تذهبين مع احد مع انني متأكدة بانك تستلمين دعوات من غيره، ولكنك ترفضينها. لماذا لا تقبلين دعوة منها؟».

«لا رغبة لي».

صمتت ماردا برهة:

«أعرف أن حديثي يؤلمك. ولكن الرجل الذي لا يعترف انه اقترف خطأ او لا يستطيع ان يعترف انه اقترف خطأ لا يمكن ان يسعد اية فتاة. لقد وصفته في رسالتك الاولى، انه صلب قاس ولا قلب له... وهذه الصفات تنطبق عليه تماماً».

«لا. انه ليس كذلك، انه رجل مجروح ويحاول ان يجرح كل من

حوله».

«اذا كان مجروحاً فليس له الحق بجرح الآخرين حوله».

«لا حيلة لديه».

اجابتها ماردا باشمئزاز:

«يا الهي. انك تنتحلين له الاعذار. انه شيطان رجيم».

«المرأة دائماً تنتحل الاعذار للرجل الذي تحب».

«عليه ان يثق بك أولاً. انه لا يصدق ما تقولين وحتى بعد ان اقسمت له... كيف يمكنك بعد ان تحبيه».

هذا الجدل هو الذي كانت تخافه ترينا. كانت تخاف من ان تتوصل الى حقيقة انه لا يحبها... ولكن شعورها كان يطمئنها بأنه لا يزال على حبه لها بالرغم من كل ما حصل بينهما، وهو يحتاجها كما تحتاجه ولا بد لهما في النهاية من التلاقي.

حاولت ترينا ان تضع نفسها مكانه علّها تتفهم تصرفاته، فوجدت ان ذلك صعب جداً لانها كانت ستصدّق كل ما يقوله لها. الثقة هي ركيزة الزواج.

لن تسعد بحمل اولاد منه، لن يكون لها ولد صورة طبق الاصل عن والده... عليها ان تنسى الموضوع برمته. هذا الموضوع قد انتهى.

ادارت ترينا وجهها فوق وسادتها، سيطول الليل وستنتظر طلوع الفجر وهي تفكر فيه وتتذكر حياتها معه التي لا يمكن ان تنساها ابداً.

يتدخل القدر في حياتنا رغم ارادتنا، لقد اصبح دنيس حراً اخيراً... انحل من رباط الزوجية.

صباح يوم السبت كانت ترينا تغني لنفسها نغماً شائعاً وهي ترتب الشقة وتنظفها بعد ان خرجت ماردا الى السوق لتبتاع بعض الحاجيات، ومع أنها حزينة من كثرة شوقها لاندرو الاّ انها احياناً تنغم لنفسها لا شعورياً. قرع جرس الباب، اعتقدت ان ماردا بالباب... ربما نسيت مفتاحها في البيت او لم تجده في حقيبتها لكثرة الاشياء التي تحتويها، فتحت ترينا الباب وظهر أمامها دنيس.

كانت ردة الفعل التلقائية ان تغلق الباب بوجهه، لكنه عاجلها ودخل قبل ان تتمكن من ذلك وهو يبتسم ابتسامة ماكرة ويهز رأسه موبخاً:

«ما هذه الطريقة الباردة في استقبالي؟».
سألته:
«لماذا حضرت الى هنا؟».
«أريد ان أراك يا حبيبتي!».
كانت ترغب صادقة في صرفه وقطع كل علاقة تربطها به الا انها سألته:
«كيف عرفت برجوعي الى سيدني؟».
«كنت ماراً الليلة الماضية بالقرب من النادي الدولي للباليه، شاهدت صورتك على الملصقات بالخارج».
عندما شاهدت ترينا صورتها على ملصقات الفرقة الدعائية فرحت واحست بفخر لنجاحها، فهي تؤدي رقصة قصيرة منفردة ضمن البرنامج مما يدل على نجاحها وتقدمها. اليوم، ومن اجل دنيس، تمنت لو بقيت راقصة مغمورة ضمن المجموعة.
«قمت ببعض التحريات. كنت اعلم انك ذهبت لتتزوجي. قيل لي ان الخطوبة قد فسخت وانك عدت ترقصين مع الفرقة».
أمسك دنيس يدها اليمنى ليتحقق من خلوها من خاتم خطوبة وهو راض يبتسم.
«لم تستطيعي المضي في الزواج الى النهاية من اجل حبي».
سحبت ترينا يدها بسرعة من بين يديه:
«هذا شيء لا يخصك ولا يعنيك. وليس له أية علاقة بك».
قال وهو يبتسم ابتسامة الواثق:
«لا اصدق؟».
سألته بغضب وانفعال:
«هل تعتقد جاداً بأنني فسخت الخطوبة من اجل حبك؟».
«اليس كذلك؟ لدي انباء سارة لك يا حبيبتي».
«بحق السماء! نحن ندور بحلقة مفرغة. لقد قلت لك في لقائنا الاخير انني لا اريدك أن تتصل بي ابداً».
«كنت افهم وضعك وأسباب تذمرك، لقد انحلت العقدة الآن». ثم اضاف: «الن تسأليني عن اخباري السارة؟».
«انا لا اهتم بك ولا بأنبائك، حتى لو ربحت الجائزة الكبرى في

اليانصيب أو ورثت تاجاً من المجوهرات... اخرج من هنا فوراً».
بدأ الانفعال يبدو في عينيها الزرقاوين ورفست الارض برجليها بحدة:
«كم انت جميلة حتى في غضبك!» قال ببرود «بحق السماء! كفى مزاحاً يا حبيبتي».
قالت ترينا وهي تتراجع الى الوراء مبتعدة عنه وهزت كتفيها وقد نفد صبرها وهي تتعجب من غبائها لانها اعتقدت في يوم ما أنها أحبت هذا المغرور والاناني، ثقيل الدم ثم اضافت.
«ما هي اخبارك؟».
سألته وفي نيتها ان تتخلص منه فور الاجابة على سؤالها.
«توفيت ليندا».
قالت حزينة:
«اوه... انا آسفة».
«آسفة؟ لا تكوني غبية!».
«وانت لا تكن قاسي الفؤاد».
«هل ترغبين في ان اكون مخادعاً؟ كنا على خلاف مستمر والود مفقود بيننا، لقد كرهتها يوم رفضت اعطائي حريتي لاتزوجك».
«آسفة لأن الحديث جاء متأخراً. اليوم لا فرق عندي ان كنت حراً ام مقيداً، لقد قلت لك سابقاً ان كل شيء بيننا قد انتهى».
«كانت الامور تختلف في الماضي. أما الآن فنستطيع ان نتزوج».
«لكنني لا أريد الزواج منك». كان صوتها صارماً «الا تفهم يا دنيس؟ يوم التقيتك كنت وحيدة وحزينة... كنت لا اعرف أي شيء عن الحب أو الرجال... اعتقدت ان شعوري نحوك هو الحب... ولكنني تبينت فيما بعد انني كنت مخطئة. لقد وقعت في الحب الحقيقي ومع شخص غيرك. لم تنته قصة حبي نهاية سعيدة ولكنني ما زلت احبه».
«لا اصدقك. انك تلفقين الامور لتصرفيني!».
«ولماذا؟».
«لانني طلبت منك سابقاً ان تهربي لتعيشي معي. انت ما زلت حاقدة علي من اجل طلبي ذلك».
«اذا كنت حقودة فمن الافضل لك ان تتركني».

هز رأسه نفياً:
«حتماً لا. كل انسان لديه بعض الاخطاء».
«هذه شهامة منك».
وجدت ان اللين معه لا ينفع. بدأت تثور غاضبة وهي تقول:
«اذا كان الامر لا يهمك. . .».
توقفت عن اكمال تهديدها وهي تسمع الباب يفتح وتظهر ماردا. . .
دخلت وهي تسد انفها بأصابعها وتقول انها تشم رائحة نتنة. تبادلت نظرات الكراهية مع دنيس. قالت بوقاحة:
«انت في طريقك الى الخارج اليس كذلك؟».
«نعم» رددت ترينا «لقد قلنا كل شيء».
نظر دنيس نظرة ثانية الى ماردا ثم الى ترينا واستدار على اعقابه خارجاً.
«علينا ان نفتح كل النوافذ. كم مضى على وجوده هنا؟».
«ليس كثيراً. انا لم اطلب منه الدخول».
«حتماً لا. أنا لا أعني ذلك، كيف عرف طريقك؟».
اخبرتها ترينا بسرعة فسألت ماردا من جديد:
«ما الذي يريده منك؟».
«اخبرني ان زوجته قد توفيت».
«هل قدمت له التعازي ام التهاني؟ اعذري سلاطة لساني ولكنه يثير غضبي واشمئزازي، هل طلب منك الزواج؟».
«نعم».
«لم تفقدي عقلك وتجيبيه بنعم؟».
«طبعاً لا».
«خفت ان يكون قد التقاك في حالة نفسية سيئة وقررت ان تحيّي لحبك الاول ونسيت رجلك من آل دلوين».
«لا أستطيع ان انساه ابداً».
فتحت ترينا المذياع تتسلى بسماع الموسيقى والاخبار ونسيت دنيس تماماً. قررت ان تحمل ثياب السباحة وتخرج الى الشاطىء برفقة ماردا بعد الظهر اذ لا يزال الطقس دافئاً وجميلاً.
في صباح يوم الاحد خرجت ترينا وحدها وركبت الترام تقصد المدينة،

المدينة هادئة يوم العطلة. تجولت في الحديقة لا تلذ النزهة ولا الاستمتاع بجمال الطبيعة على انفراد، مشت الى المرفأ تراقب السفن في ذهابها وايابها وقررت ان تذهب الى مانلي في نزهة بحرية. اشترت تذكرة وانتظرت وصول المعدية. كانت ترغب بالانفراد مع ذكرياتها.
الرحلة مريحة، المعدية كبيرة وهي تتمايل بلطف فوق الامواج الهادئة عبر المحيط الهادىء، نزلت في مانلي الى الشاطىء، هناك شباك كبيرة لحماية الشاطىء من سمك القرش الفتاك، مشت بمحاذاة الشاطىء تتفرج على السابحين والسابحات ثم دخلت شارع كورسو حيث المخازن الحديثة تنتشر على طرفيه وفي وسطه أشجار النخيل الطويلة، مشت قليلاً ثم استراحت فوق مقعد على الشاطىء قبل ان تعود ادراجها الى المعدية في طريق العودة.
سألتها ماردا:
«هل تمتعت بوقتك؟».
«لا بأس كان تغييراً مفيداً».
«كنت اريد ان اخبرك انني وبيرس نخطط لتمضية عطلة الاسبوع القادم في هكسبوري قبل ان يبدأ موسم الخريف».
«هذا جيد. احب ان ارافقكما».
ارادوا ان يحجزوا في الفندق ولكن الموسم السياحي يشارف على نهايته والازدحام شديد فلم يتمكنوا من ايجاد غرف لهم. وافقوا على مرافقة زوجين من الاصحاب يملكان كوخاً على ضفة نهر هكسبوري وعلى قبول دعوتهم لمشاركتهم عطلة الاسبوع.
كان المطر ينهمر بغزارة في بداية الرحلة ولم تمض بضع دقائق حتى انقشع الضباب فتفاءلوا اخيراً. كان الموكب يتألف من ثلاث سيارات. استأجر بيرس سيارة لأنه لا يملك واحدة. كان هو وماردا يجلسان في المقعد الخلفي بينما جلست ترينا قرب السائق تحاول ان تحادثه بتهذيب لكنه كان من النوع الذي يسأل ويجيب في الوقت نفسه، ولذلك لم تجد ترينا صعوبة في مجاراته في الحديث ببضع كلمات. كانت سيارة الزوجين تسبقهما لتدلهما على الطريق وخلفهما السيارة الثالثة تضم بقية الرفاق قالت ماردا:
«سنصل عما قريب لقد زرت المكان من قبل. سيعجبكم كثيراً».

يقع الكوخ الذي يقصدونه على ضفة النهر بعيداً عن المدينة ضمن اكواخ مبعثرة هنا وهناك على ضفتي النهر. وبدأت السيارة رحلة صعود من جديد. الطريق جبلية وعرة وملتوية وتحتوي على منعطفات ضيقة ومخفية. فجأة برزت أمامهم شاحنة كبيرة تسير على غير هدى ويبدو ان كابحها قد تعطل. أطلت الشاحنة عليهم من خلف منعطف وانزلقت الى الجهة المعاكسة لاتجاه سيرها. لم تصطدم بالسيارة الامامية ولكنها اصطدمت بهم.

كان على السائق ان يختار بين الاصطدام بالشاحنة او تفاديها وبالتالي يميل بسيارته نحو المنحدر ويسقط بالوادي السحيق. اختار ان يضرب نفسه بالشاحنة لجهة الجبل. رمى بنفسه فوق ترينا يحميها وهو يغيّر اتجاه السيارة بسرعة حتى يتفادى السقوط بالوادي، ضربت السيارة في مقدمة الشاحنة وتهشمت فوق الصخور الجبلية، تذكرت ترينا انها سمعت صراخاً وتحطم زجاج ثم عمّ الظلام...

فتحت ترينا عينيها لتجد قربها فتاة بلباس ابيض. انها الممرضة.

«هل انا في المستشفى؟».

سألتها الممرضة.

«هل تشعرين ببعض التحسن؟».

«ماذا حدث؟».

«لا تهتمي للأمر».

قالت بضعف ظاهر ولكن بلهجة آمرة:

«يجب ان اعرف ماردا؟ بيرس».

«هما بخير. بعض الكدمات البسيطة والخدوش السطحية. لا يوجد كسور في العظام. لم يصب المقعد الخلفي للسيارة بأي أذى».

سألتها ترينا:

«والسائق؟».

كانت قد استعادت بذاكرتها منظر الشاحنة التي فلت كابحها والسائق يحاول بسرعة ان يغير اتجاه سيارته ويرمي بنفسه فوقها، رأت ترينا نظره حزينة ترتسم على وجه الممرضة.

«ولقد مات!... اليس كذلك؟».

قالت الممرضة:

«انا آسفة يا عزيزتي. لم نستطع ان نسعفه».

ادارت ترينا وجهها والدموع تنساب من مآقيها.

«ولقد رمى بنفسه فوقي ليخلصني. انا لا أعرفه... لقد أنقذ حياتي...».

«بعض الرجال يتصرفون بشهامة. لقد مات على الفور. لم يشعر بألم... اذا كان ذلك يساعد في تخفيف حزنك عليه».

قالت ترينا ساهمة:

«نعم. انه شجاع وشهم. ضحى بحياته لينقذني، رجل عرفته لساعات قليلة».

شرعت تبكي بحرقة. أحضرت الممرضة ابرة صغيرة في محاولة لتهدىء من روعها وتجعلها تخلد للسكون والنوم. حين استفاقت من راحتها الاجبارية وجدت ترينا وجهاً اليفاً بالقرب من سريرها. تمتمت:

«ماردا. انت بخير؟».

«وأنا التي سأسألك هذا السؤال».

كانت ماردا بصحة جيدة وتلف يدها ببعض الضمادات البيضاء.

«واخبروني بأنني سأعيش ولكنني لم اكن لأعيش لولا تضحية السائق».

«كان شاباً مهذباً كسر سائق الشاحنة رجله. لا نستطيع ان نلومه. لقد تعطل الكابح معه فجأة».

سألتها بصعوبة:

«وبيرس؟ كيف حاله؟».

«بعض الكدمات والخدوش السطحية لن تؤثر ابداً على وسامته ورجولته الفتاكة».

لا شعورياً تذكرت ترينا اندرو، لقد خرج من حادث مماثل بندبة فوق خده الايمن. احست ماردا بما تفكر به ترينا.

«انت تفكرين بأندرو. اليس كذلك؟».

لم تجد ترينا فرصة للاجابة عن السؤال لان الممرضة حضرت لتطرد ماردا الى الخارج وتطلب منها ان تعود في الغد بعد ان تكون ترينا قد استعادت قليلاً من عافيتها.

كانت ترينا في غرفة العناية الخاصة. ولتمر فترة الخطر. وبعد ان

تجاوزتها نقلت ترينا بعد الظهر الى غرفة فيها سريران فقط، وتفصل ستارة بينهما. حضرت ممرضة بعد ذلك وازاحت الستارة. قالت تخاطب المريضتين:

«يمكنكما ان تشاهدا بعضكما».

كانت رفيقة ترينا في الغرفة امرأة في الخمسين من عمرها ويكسو شعرها الشيب. قالت تخاطب ترينا:

«سيسمحون لي بمغادرة المستشفى بعد غد».

«اعتقد انك مسرورة. بالرغم من حسن المعاملة والراحة التامة الا ان العودة للبيت أجمل».

ما زالت ترينا منهكة ولا تقوى حتى على المحادثة. نظرت عبر النافذة الكبيرة التي تشرف على الحديقة الغناء حول المستشفى، ثم نظرت الى داخل الغرفة تعاين محتوياتها. هناك طاولة صغيرة بالقرب من سريرها ثم طاولة لها دواليب لتتناول عليها الطعام والجرس الصغير في متناول يدها تطلب الممرضة لخدمتها متى ارادت.

ان الغرفة بسريرين تكلف اكثر من الجناح العام الذي يضم عدداً اكبر. ربما لا يوجد سرير فارغ في الجناح العام، عليها ان لا تهتم بالامور المادية الآن فلديها بعض المال المدخر ستصرفه على نفقات المستشفى، ثم لا تزال تحتفظ بالمال الذي ورثته عن جدها وهناك المال الذي كسبته من عملها في براكيه لم تصرف منه الا القليل.

تذكرت اندرو عندما ذكرت عملها في براكيه ولكنها حاولت ان تصرفه بعيداً عن تفكيرها حتى لا تقع في الحزن من جديد، وبدأت تتسلى بعد وريقات الزهور التي جلبتها ماردا ووضعتها قربها على الطاولة الصغيرة، ربما عدت الكثير منها قبل ان تنام. استفاقت في موعد تناول الشاي بعد الظهر. وشعرت برغبة في الطعام مما يدلّ على تحسن في صحتها العامة.

في الصباح الباكر استيقظت ترينا على جلبة الممرضات في عملية التنظيف ومساعدة المرضى في الاغتسال وتوزيع الشاي والادوية، كانت ترينا لا تزال مرهقة ولم تتوان عن الاستراحة والنوم فترة قبل الظهر. خلال فترة الزيارة بعد الظهر، وجدت ترينا زائرة غير متوقعة في غرفتها حضرت جيرالدين تعودها في المستشفى. كانت مفاجأة غير منتظرة.

«مرحباً يا عزيزتي ترينا». ابتسمت وهي تغلق الباب خلفها «والحمد لله على سلامتك».

قالت ترينا مازحة:

«قيل لي ان لا أتشاجر مع شاحنة بدون كابح في المرة الثانية».

«ولا تقتربين من الصخور الصماء». لامست جيرالدين الفتاة بحنان «كيف تشعرين الآن يا عزيزتي؟».

قالت وهي تبتسم:

«سأشفى تماماً. لا يوجد اي عطب دائم وسأعود للرقص من جديد».

«الحمدلله. كنت مهمومة من اجلك».

سألتها ترينا:

«اعتقد انك قرأت عن الحادث في الجرائد».

«نعم... وكذلك صديقتك ماردا اتصلت بي هاتفياً بعد الحادث مباشرة».

«ماردا! هي اتصلت بك!».

«نعم». لم تفه باكثر من هذه الكلمة ثم عبست وهي تنحى بالمحادثة ناحية اخرى «هذا الشاب... قيل انه حماك بنفسه... هل هو صديقك؟».

«لقد التقيته لأول مرة صباح يوم الحادث».

تنهّدت جيرالدين مرتاحة كأن كابوساً ازيح عن كاهلها. صمتت قليلاً:

«أراد الاولاد ان يزوروك في المستشفى ولكنني طلبت منهم ان يتأخروا قليلاً».

«واحب ان أراهم... ربما في مرة ثانية اذا حضرت الى سيدني قبل ان اغادر المستشفى».

«حتماً سأحضر لزيارتك مرة ثانية». ثم ترددت قليلا وقالت: «الا تتساءلين لماذا لم يحضر اندرو معي؟».

«لا أرى سبباً لحضوره... لقد فسخنا الخطوبة ولا تربطنا أية علاقة».

«نعم!».

علقت الكلمة في الهواء كأنها بداية لحديث طويل. سألت ترينا وهي تحاول ان تتكلم في موضوع عام:

«كيف يسير العمل في المصنع الجديد؟».
قالت جيرالدين:
«لا بأس. هناك بعض التأخير في وصول بعض الآلات، ما عدا ذلك فكل شيء يسير على ما يرام. اعتقد انك لا تعرفين ان اندرو في اميركا».
«لا. لا اعرف».
سألتها جيرالدين بعطف:
«لا زلت تحبينه! اليس كذلك؟».
هزت ترينا رأسها موافقة وقد اختنقت العبارات في حلقها:
«نعم. أعتقد انني أحبه ولن انساه. . . الحب من الامور التي لا نستطيع ان نتحكم بها».
«واندرو. . . لا نعرف له قرار. . . أشعر أحياناً أنني اريد ان اضربه».
قالت ترينا مبتسمة:
«ليس باليد حيلة، انها من الامور التي لا نستطيع ان نفعل حيالها اي شيء».
«ربما تتعجّبين لماذا لم اتصل بك من قبل! اعتقدت ان ذلك افضل. ربما تنسين كل شيء».
انها لن تنسى اندرو قطعاً. سألتها عن اولاد كامبل وتحصيلهم. اخبرتها جيرالدين ان جولي في المرتبة الاولى في صفها وقد أكد رود انه رأى صحناً طائراً، ربما هي خدعة بصرية ولكن الحادثة أشعلت وزادت من اهتمامه للعلوم، تقرير المعلمين عنه انه تلميذ متميز في تلك المادة، لقد نجا منذ مدة بأعجوبة المية. كان مع رفيقين له في مختبر المدرسة. وقعت في المغسلة قطعة صوديوم وفتح فوقها حنفية الماء وتسبب في انفجار من جراء تفاعل الماء والصوديوم وتسبب في ثقب الانابيب. كانت كارثة لولا عناية الله. ابتسمت جيرالدين وهي تؤكد لها ان المدرسة قامت بما يلزم من اجراءات صارمة بحقه وحق رفاقه. . .
قالت ترينا وهي تبتسم:
«الصغير الشيطان».
«أعتقد انه سيصبح عالماً، اندرو لن يتوانى عن تقديم كل مساعدة له واعطائه الفرصة ليكمل تخصصه في الخارج اذا لزم الأمر».

هذا هو أندرو. كريم ومسؤول. انها مسرورة لأن محبته للاولاد لا زالت كما رغبت ولم يتغيّر في معاملتهم كما تغيّر في معاملتها.
دخلت ماردا مسرعة. تمتمت ترينا تقول لجيرالدين ان ماردا لا تعرف شيئاً عن الرسالة المشؤومة التي تسبّبت في فراقها مع اندرو. هزت جيرالدين رأسها انها فهمت.
«أردت أن أحضر قبل الآن ولكن حريقاً نشب في الترام اللعين تسبب في تأخيري. يمكنكم أن تتصوروا الرعب بين الركاب. لحقت النار بالارض الخشبية ولكنها لم تكن خطرة، لقد اخمدوها بسرعة وقام رجل ونفخ عليها من فمه فماتت النار. حضر ترام آخر ونقلنا الى المدينة ولكن بعض الركاب النزقين اعترضوا على التأخير».
لقد تفاهمت جيرالدين بسرعة مع ماردا وطريقتها في الكلام، لم يخدعها شكلها البوهيمي وأحست بطيبتها وصداقتها ووفائها. تركت جيرالدين المستشفى بعد وصول ماردا بقليل، ربما ارادت للصديقتين ان تنفردا. بدأت ترينا تعاتب ماردا لانها اتصلت بجيرالدين، اخبرتها ماردا انها اتصلت ببراكيه اولا لتخبر اندرو بالحادث ولما لم تجده اتصلت بجيرالدين. وقبل ان تنتهيا من المعاتبة قرع جرس يعلن انتهاء موعد زيارة المرضى. بعد ذهاب ماردا استسلمت ترينا للراحة من جديد. بقيت نائمة حتى موعد تناول الشاي.
حضرت جيرالدين مرة ثانية بعد الظهر، تكلمت معها في اشياء عامة، اخبرتها ان دلثروب لا تزال تتكلّم عن الحفلة الموسيقية الناجحة التي رقصت فيها ترينا وأبدعت ولم تجرؤ ترينا ان تسألها اذا كانت القرية لا تزال تثرثر ايضاً حول خطوبتها التي فسخت.
بعد ذهاب جيرالدين تركت ترينا لنفسها العنان وهي تفكر في اندرو، انه كتاب لا يقرأ. . . لا زال قاسي الفؤاد ويملؤه الشعور بالمرارة والكراهية. يحتاج لاعجوبة لتعيده الى رشده. لقد فقدت كل امل في عودته اليها ومع ذلك لن تنساه. ذكرياتها معه لا تزال حية أمامها، لقاؤها الاول معه والخصومات والتنافر بينها وكيف تعرّفت الى جراحه الداخلية التي يخفيها وراء قناع صلب يحاول ان يظهر به للعالم حوله. . . وذكرياتها الوردية بجانب البركة في الحديقة. . . تذكرت كلماته:

«وماذا عن الفدية؟».
سألته:
«واية فدية؟».
عانقها وطالب بفدية تدوم كل حياتها. هل دام الحال معها؟ لا. لقد تركها لذكرياتها الوردية. . . تذكرت العقد الماسي وما رافقه من اهانة لها لا تغتفر. . . كيف قذفت به في ضوء القمر. تساءلت: ماذا فعل بالعقد؟

رفيقتها في الغرفة غادرت المستشفى وبقيت ترينا وحدها. سيبقى السرير فارغاً لليوم التالي قبل أن تحتله مريضة ثانية، حان موعد زيارة المرضى، بدأت تتساءل: هل ستحضر جيرالدين؟

ماردا لن تستطيع الحضور لانها مشغولة، سمعت الباب يفتح لم تتبين صورة الزائر لان الستارة كانت مسدلة قربها. ظهر بعد قليل دنيس. لم تسر لرؤيته ابداً. قال لها:
«هذا نتيجة عبثك مع الشباب الآخرين قلت لك دعيني اعتني بك!».
يا الهي كم هو سمج وبدون احساس. اجابته محتدة:
«لم تكن غلطة السائق. لقد ضحى بحياته لانقاذي».
وها هو دنيس يحاول ان يبدي ملاحظات سمجة عنه. قال مازحاً:
«رويدك. حاولي ان تكبحي جماح غضبك».
من حسن حظها ان الممرضة حضرت لتسجل درجة الحرارة وسرعة النبض سجلت الممرضة النتائج في الملف الخاص ثم ابتسمت:
«سمعت أننا سنهنئك قريباً جداً».
سألتها ترينا مستغربة:
«على ماذا التهنئة؟».
قالت الممرضة:
«تهنئة بمناسبة خطوبتك. اتمنى لك السعادة».
وقبل ان تعترض ترينا خرجت الممرضة من الغرفة بسرعة. وران صمت ثقيل. سمعت ترينا الباب يغلق خلف الممرضة. التفتت ببطء شديد نحو دنيس وفي عينيها شرر.
«هل اخبرتها أننا على وشك اعلان خطوبتنا؟».
«كانت في الخارج حين وصلت. دلتني على غرفتك. اخبرتها اننا

صديقين حميمين».
«اعصابك حديد. . . !».
«كنت استعجل الامور قليلاً. . . في النهاية ستقبلين الزواج مني. أليس كذلك؟».
لم يسمع اي منهما الباب يفتح ببطء لان الستارة كانت تحجبها وراءها وتمنع عنهما رؤية القادم.
رفعت ترينا نفسها بجهد عن الوسائد وبدت غاضبة قالت محتدة:
«للمرة الاخيرة يا دنيس لينارد. . . لا أريد الزواج منك ولو كنت آخر رجل على وجه البسيطة، حاول ان يتكلم فقاطعته، اصمت. اسمعني جيداً، اعرف ما أريد، ابتعد عني فأنا لا أريد رؤيتك مرة ثانية، لقد تسببت لي بالكثير من المشاكل، حاولت اغوائي وجعلتني مفتونة بك دون ان تذكرني بأنك رجل متزوج، اردت ان اصبح عبدة لك ارتهن بامرك، لكنك فشلت. لا زلت اتمتع ببعض العقل، عرفت ان شعوري نحوك ليس حباً حقيقياً. لقد عرفت الحب الحقيقي مع رجل آخر غيرك، وبطريقة غير مباشرة استطعت ان تفسد علي هنائي. . . لا اريد الزواج منك ولن اغير رأيي ولو بعد ألف سنة. اخرج من الغرفة حالاً!».
حاول التقرب منها قائلاً:
«حاولي ان تفهمي شعوري. . . .».
قالت حانقة:
«اخرج فوراً قبل ان اقذفك بابريق الماء».
أمسكت الابريق بيدها فعلاً. لقد تحقق له أنها تعني ما تقول. وقبل ان يتفوه بشيء، فتحت الستارة ودخل رجل طويل عيناه سوداوان وشعره اشقر وفوق خده الايمن ندبة رفيعة.
قالت وهي ترتجف:
«اندرو!».
افلتت الابريق من يدها. قال اندرو مخاطباً دنيس:
«اعتقد ان عليك ان تخرج».
قالت مرددة اسمه:
«اندرو. اعتقدت انك في أميركا».

قال بسرعة وجلس بالقرب من سريرها:
«لقد وصلت الآن». سألها بخفة: «هل ترغبين ان اخرج انا ايضاً».
«لا. لا».
كيف تطلب منه ان يخرج بعد ان حصلت المعجزة التي تمنتها بحضوره.
لكنها حاولت ان لا تتأمل كثيراً من وجوده معها.
«كيف حالك الآن».
«انني احسن بكثير. قيل لي ان كل شيء يسير على ما يرام، سأستطيع معاودة الرقص عما قريب».
«هذا جيد. لقد اخبرتني في السابق ان الرقص يعني لك الشيء الكثير».
قالت مازحة:
«هذا صحيح. ولكن لو حدث لي مكروه ومنعني من مزاولة الرقص... كنت سأمتهن التعليم لكسب قوتي بعد ان اشفى واستقر».
«والشاب الذي قتل في الحادث...».
«انه صديق التقيته لأول مرة صباح يوم الحادث...».
«اعتقدت في البداية أنّ له اهمية خاصة بالنسبة اليك». كان في صوته نبرة غريبة لم تفهمها. «لقد ارسلت لي جيرالدين برقية الى نيويورك، ركبت أول طائرة عائداً اليك».
«أوه...».
«لقد زارتك جيرالدين على ما اعتقد».
«نعم. اكثر من مرة. الم تـرها بعد؟».
«لا. لقد حضرت من المطار الى المستشفى».
«هذا لطف كبير منك».
قال آسفاً:
«انا لطيف بعد كل معاملتي السيئة لك؟».
امسك اندرو يدها فجأة وقد شعرت بقوته وحساسيته.
«انا لا زلت أدفع ثمن غلطتي. حين وصلتني البرقية...» نظر اليها بحب وهو لا يزال يشد على اصابعها بقوة: «كان علي ان احضر لأطمئن عليك بالرغم من كرهك لي...».

قالت بهدوء:
«انا لا اكرهك».
«كلمة آسف ربما لا تعبر لك فعلاً عن مدى اسفي. لقد اهنتك... ولكنني سأجد طريقة لاجعلك تسامحيني، هل تعطيني فرصة جديدة، هذا اقصى ما اتمناه بعد...».
كان أندرو يترجاها ويستعطفها ان تسامحه وتغفر له.
«لقد سمعت حديثي مع دنيس ووثقت بأنني لا أتزوجك لأموالك».
«عرفت انني كنت على خطأ منذ تركتني ورحلت».
«ولماذا لم تلحق بي؟ اندرو لو تعلم كم اشتقت اليك وتمنيت ان تلحق بي. انتظرتك اياماً وأسابيع واشهر...».
«لم اكن اطمح بان تسامحيني، وحق السماء لم أعتقد انك ستصفحين».
«طبعاً اصفح وأسامح. يا حبيبي الا تعرف ان المرأة التي تحب تسامح».
شد بقسوة على اصابعها حتى شعرت بالألم.
«وبعد هذا الغياب، الا استطيع ان اعانقك؟».
قالت عابثة:
«ولكنني لا أحمل اية عدوى».
كانت ترينا تتمدّد قرب اندرو على الشاطىء الدافىء، نظرت اليه مبتسمة. لقد مضى على الحادث ستة أشهر وقد تزوجا منذ أسبوع. اسبوع كله عسل وسعادة، حضرا الى جنة التزلج فوق الالواح الخشبية لتمضية شهر العسل هنا كما كانا قد قررا من قبل، كانت ترينا واثقة ان اي مكان مع اندرو هو الجنة. وهي متمددة فوق الرمال سرحت بأفكارها الى الماضي القريب، خرجت من المستشفى وامضت فترة النقاهة في باتنغا عند جيرالدين. أحضر اندرو اولاد كامبل لزيارتها في باتنغا وكان سرورها بلقائهم عظيماً وشعرت بأنهم يحبون اندرو كثيراً. أعطاهم حبه وبادلوه العاطفة وأعلنوا رضاهم عن عودتها لتعيش معهم في براكيه.
عرفت ترينا ان جيرالدين دفعت كل مصاريف المستشفى عنها بعد ان قامت بترتيب الامور بشكل لا تشعر معه بالأمر، دفعت ترينا للمستشفى أقل ما يمكن وسددت جيرالدين الفرق. في البداية لم تذكر جيرالدين أي شيء عن البرقية التي ارسلتها الى اندرو خوفاً من ان لا يحضر.

كانت حفلة الزواج هادئة. أندرو حساس تجاه الندبة التي في وجهه مع أنها اصبحت لا تعني له الكثير.

ردّدت ترينا اسمها الجديد، ترينا دلوين وهي لا تصدق أنها فعلاً قد تزوجت من اندرو، سيبقى هذا اسمها لنهاية العمر.

ركبت القطار من ميونا الى سيدني برفقة اندرو في طريقهما الى رحلة شهر العسل. كانت عجلات القطار تناديها باسمها الجديد طوال الرحلة، تابعاً رحلتهما من سيدني بالطائرة شمالاً الى بريزباين، وقرر اندرو ان لا يقود سيارته لأن الرحلة طويلة ومتعبة ولكنه استأجر سيارة مدة بقائهما في كوينزلاند.

لم تستغرق الرحلة من بريزباين الى جنة التزلج طويلاً. صعقت ترينا من فخامة الفندق والجناح المحجوز لأمرهما، تحيط بالفندق أشجار النخيل الباسقة وأحواض الزهور الاستوائية المختلفة الالوان والاشكال، ويحتوي على ملاعب للتنس وبركة خاصة للسباحة وغيرها من الامور التي تؤكد لها انها تزوجت من رجل غني... ولكن أمواله لا تهمها... اندرو بشخصه هو الذي يهمها. لقد رجع اليها طالباً الصفح وفي عينيه السوداوين دفء العاطفة التي افتقدتها، وقفت ترينا في غرفة النوم تنتظره بغلالة بيضاء.

قال صادقاً:

«كم أنت جميلة يا ترينا دلوين».

ستتذكّر دائماً رقته وحنانه وهو يكلمها بصوته الاجش العاطفي ويكاد يطير من السعادة لامتلاكها. كانا يمضيان أوقاتهما على الشاطىء. ينتقيان بقعة منعزلة بعيدة عن الازدحام ككل عروسين جديدين. احس اندرو بنظراتها استدار من مكانه وأمسك بيده حفنة من الرمل الدافىء ورشها فوق ظهرها.

«هل انت سعيدة؟».

قالت ترينا لزوجها:

«أكاد اطير بجناحين من سعادتي».

عبس قليلاً. مدّت اصبعها على جبينه تحاول ان تفرد عبوسه:

«ولماذا العبوس؟».

«كنت افكر.. انك لست محظوظة مع الرجال، أليس كذلك؟ اولاً

دنيس... وما تسبب لك من ألم... ثم انا ومزاجي العابس وشكوكي».

«لا اعتقد ذلك. دنيس لا يعني لي اي شيء، كان انانياً ومحباً لذاته وربما اشكره لانه جعلني أترك سيدني، لولاه لما التقيتك ابداً. اما انت، فأنا لا استغني عنك بالرغم من مزاجك العابس وشكوكك».

عانقها. صمتا طويلاً. كانت حرارة الشمس تلفهما. أصابعهما متشابكة وارواحهما متعانقة.

«اما بشأن الاولاد... لا يمكنني ان اسألك الاهتمام بالبيت وبالاربعة المزعجين».

«ولكنني أحبهم وانت تريدهم معنا في البيت أليس كذلك؟».

«نعم... لقد اعتدت عليهم».

قالت وقد احمرت وجنتاها فجأة:

«المكان واسع والغرف عديدة وتتسع للمزيد».

«غرف عديدة وتتسع للمزيد!».

قال اندرو ضاحكاً وهو يحاول ان يضايقها بمزاحه. ابتسمت ترينا وهزت رأسها موافقة وحمرة الخجل تكسو وجهها. سألته وهي تلاحظ تعابير وجهه تقسو:

«وماذا بعد؟».

«هل استحق هذه السعادة معك بعد كل الذي فعلته؟».

«يجب الا نفكر بالماضي... بل بالمستقبل الباسم مستقبلنا معاً».

«آه يا حبيبتي الغالية».